فتح رب البريات

على كتاب

أهم المهمات من أصول الإيمان

للشيخ

العلامة الإمام

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ

الشارح

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

اعتنى به

حسن بن منصور الدغريري

دار المنهاج

فتح رب البريات

على كتاب أهم المهمات من أصول الإيمان



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ١٦٨٩/٢٠٠٨م



الإدارة: ١٧ شارع صعب صالح - من أحمد عصمت - عين شمس الشرقية - القاهرة - ج.م.ع

جوال: ١٧ ٥٣٣ ٣٩ ٠١٢ / ٠٠٢ فاكس: ٠٠٢٠٢/٢٤٩٨٨٦٢٤

المكتبة: ٨١ شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

جوال: ٠٠٢/٠١٢٤٠٧٣٩٧٤

E-Mail:daralmenhaj@hotmail.com

فتح رب البريات
على كتاب أهم المهمات من أصول الإيمان

تأليف
العلامة الإمام
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
١٣٠٧-١٣٧٦هـ

الشارح
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

اعتنى به
حسن بن محمد بن منصور الدغريري

دار المنهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد للَّه على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة، والنِّعم السابغة، وأصلي على محمد المبعوث لصلاح الدين والدنيا والآخرة.

أمَّا بعد:

فهذه رسالةٌ مختصرةٌ احتوت على أهم المهمات من أمور الدين وأصول الإيمان تدعو الحاجة والضرورة إلى معرفتها؛ جعلتها على وجه السؤال والجواب لأنَّه أقرب إلى الفهم، والتفهيم وأوضح في التعلُّم والتعليم.

* * *

مقدمة الشارح

الحمد للَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فقد قرأ علي بعض طلاب العلم كتاب سؤال وجواب في أهم المهمات تعليم أصول الإيمان للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، وطلبوا منِّي أن أشرح فقرات هذا الكتاب ليتضح للطالب، ويستفيد منه الراغب بما يوضح معناه فاستعنت باللَّه على ذلك، وأمليت عليهم ما يراه القارئ في هذه العجالة، وقد سميته بـ: «فتح رب البريات على كتاب أهم المهمات»، وقد اعتنى بإخراجه الشيخ حسن بن محمد منصور دغريري -جزاه اللَّه خيرًا-.

وأسأل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أن ينفع بذلك وأن يجعله سببًا من أسباب النجاة يوم القيامة لي ولمن شارك في إخراجه أو عمل به، وباللَّه التوفيق.

الشارح

أحمد بن يحيى بن محمد النَّجمي

٢٨ / ٩ / ١٤٢٦ هـ

ترجمة للإمام العلّامة
عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله

هو الشيخ أبو عبد اللّه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد اللّه بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ (١٢) محرم عام ألف وثلثمائة وسبع من الهجرة النبوية، وتوفيت أمه وله أربع سنين، وتوفي والده وله سبع سنين، فتربى يتيمًا ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنِّه بذكائه، ورغبته الشديدة في العلوم، وقد قرأ القرآن بعد وفاة والده، ثم حفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره أحد عشر سنة ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده، وعلى من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتى أنه في عام ألف وثلثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعًا إليه، ومعوَّل جميع الطلبة في التعلم عليه.

☐ بعض مشايخ الشيخ:

أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه، وكان المؤلف يصف شيخه بحفظه للحديث، ويتحدث عن ورعه، ومحبته للفقراء مع حاجته؛ ومواساتهم، وكثيرًا ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي، فيخلع أحد ثوبيه، ويلبسه الفقير مع حاجته إليه، وقلة ذات يده رحمه الله.

ومن مشايخ المؤلف الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، قرأ عليه في الفقه، وعلوم العربية وغيرهما، ومنهم الشيخ صالح بن عثمان القاضي (قاضي عنيزة) قرأ عليه في التوحيد والتفسير، والفقه أصوله وفروعه، وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه المؤلف، ولازمه ملازمة تامة حتى توفي رحمه الله، ومنهم الشيخ عبد اللّه بن عايض، ومنهم الشيخ صعب التويجري، ومنهم الشيخ علي السناني، ومنهم

الشيخ علي بن ناصر أبو وادي، قرأ عليه في الحديث، وأخذ عنه الأمهات الست وغيرها، وأجازه في ذلك، ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ عبد العزيز المحمد المانع (مدير المعارف في المملكة العربية السعودية) في ذلك الوقت، وقد قرأ عليه المؤلف في عنيزة، ومن مشايخه الشيخ محمد أمين الشنقطي (نزير الحجاز قديمًا ثم الزبير) لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس قرأ عليه المؤلف في التفسير، والحديث، وعلوم العربية كالنحو والصرف ونحوهما.

□ نبذة من أخلاق المؤلف:

كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعًا للصغير والكبير، والغني والفقير، وكان يقضي بعض وقته في الاجتماع بمن يرغب حضوره؛ فيكون مجلسهم ناديًا علميًّا، حيث أنه يحرص أن يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية، ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها، فتنقلب مجالسهم العادية عبادة، ومجالس علمية ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه، ويبحث معه في المواضيع النافعة له دنيا وأخرى، وكثيرًا ما يحل المشاكل برضاء الطرفين في الصلح العادل.

وكان ذا شفقة على الفقراء، والمساكين، والغرباء مادًّا يد المساعدة لهم بحسب قدرته، ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير في المناسبات، وكان على جانب كبير من الأدب، والعفة، والنزاهة، والحزم في كل أعماله وكان من أحسن الناس تعليمًا، وأبلغهم تفهيمًا، مرتبًا لأوقات التعليم، ويعمل المناظرات بين تلاميذه المحصِّلين لشحذ أفكارهم، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون، وكل من حفظه أعطي الجعل، ولا يحرم منه أحد.

ويتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة، ولا يمل التلاميذ من طول وقت الدراسة إذا طال؛ لأنهم يتلذذون من مجالسته، ولذا حصل له من التلاميذ المحصِّلين عدد كثير.

مكانة المؤلف بالمعلومات:

كان ذا معرفة تامة في الفقه؛ أصوله وفروعه، وفي أول أمره متمسكًا بالمذهب الحنبلي؛ تبعًا لمشايخه، وحفظ بعض المتون من ذلك، وكان له مصنف في أول أمره في الفقه، نظم نحو أربعمائة بيت، وشرحه شرحًا مختصرًا، ولكنه لم يرغب ظهوره؛ لأنه على ما يعتقده أولًا.

وكان أعظم اشتغاله؛ وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيميه، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول، والتوحيد، والتفسير، والفقه، وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي.

ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المتهوسين، هدانا اللَّه وإياهم للصواب، والصراط المستبين.

وله اليد الطولى في التفسير، إذ قرأ عدة تفاسير، وبرع فيه وألَّف تفسيرًا جليلًا في عدة مجلدات، فسره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت التصنيف دائمًا يقرأ القرآن الكريم ويفسره ارتجالًا، ويستطرد، ويبين من معاني القرآن وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة، والمعاني الجليلة، حتى أنَّ سامعه يود ألَّا يسكت لفصاحته، وجزالة لفظه وتوسعه في سياق الأدلة والقصص، ومن اجتمع به؛ وقرأ عليه، وبحث معه عرف مكانته في المعلومات، كذلك من قرأ مصنفاته، وفتاويه.

مصنفات المؤلف:

١- تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم المنان» في ثماني مجلدات أكمله في عام (١٣٤٤هـ).

٢- حاشية على الفقه استدراكًا على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي.

٣- إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، رتبه على السؤال والجواب، طبع بمطبعة الترقي في دمشق عام

(١٣٦٥هـ) على نفقة المؤلف، ووزعه مجانًا.

٤- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، طبع في مطبعة أنصار السنة عام (١٣٦٦هـ).

٥- الخطب العصرية القيمة، لما آل إليه أمر الخطابة في بلده اجتهد أن يخطب في كل عيد وجمعة بما يناسب الوقت في المواضيع المهمة التي يحتاج الناس إليها، ثم جمعها، وطبعها مع الدرة المختصرة في مطبعة أنصار السنة على نفقته، ووزعها مجانًا.

٦- القواعد الحسان لتفسير القرآن، طبعها في مطبعة أنصار السنة عام (١٣٦٦هـ)، ووزع مجانًا.

٧- تنزيه الدين وحملته ورجاله، مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقه وجيه الحجاز «الشيخ محمد أفندي نصيف» عام (١٣٦٦هـ).

٨- الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

٩- توضيح الكافية الشافية، وهو كالشرح لنونية الشيخ ابن القيم.

١٠- وجوب التعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني، وهذه الثلاثة الأخيرة طبعت بالقاهرة السلفية على نفقة المؤلف، ووزعها مجانًا.

١١- القول السديد في مقاصد التوحيد، طبع في مصر «بمطبعة الإمام» على نفقة عبد المحسن أبا بطين عام ١٣٦٧هـ.

١٢- مختصر في أصول الفقه.

١٣- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، طبع على نفقة المؤلف، وجماعة من المحسنين، ووزع مجانًا، طبع بمطبعة الإمام- الرياض الناضرة، وهو هذا - طبع بمطبعة الإمام (الطبعة الأولى).

وله فوائد منثورة وفتاوى كثيرة في أسئلة شتَّى ترد إليه من بلده وغيرها، ويجيب عليها، وله تعليقات شتى على كثير مما يمر عليه من الكتب، وكانت الكتابة سهلة

يسيرة عليه جدًّا، حتى أنه كتب من الفتاوى وغيرها شيئًا كثيرًا.

ومما كتب نظم ابن عبد القوي المشهور، وأراد أن يشرحه شرحًا مستقلًّا فرآه شاقًّا عليه، فجمع بينه وبين الإنصاف بخط يده ليساعد على فهمه، فكان كالشرح له، ولهذا لم نعده من مصنفاته.

□ غايته من التصنيف:

وكان غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم، والدعوة إلى الحق، ولهذا يؤلف، ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته، لا ينال منها عرضًا زائلًا، أو يستفيد منها عرض الدنيا، بل يوزعها مجانًا ليعم النفع بها، فجزاه اللَّه عن الإسلام والمسلمين خيرًا، ووفقنا اللَّه إلى ما فيه رضاه.

□ وفاته:

وبعد عمر مبارك دام قرابة (٦٩) عامًا في خدمة العلم انتقل إلى جوار ربه في عام (١٣٧٦هـ) في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة. اهـ بتصرف يسير من مقدمة تفسيره تيسير الكريم المنان.

* * *

ترجمة الشيخ
أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

«فإن للعلماء علينا من الحقوق ما بتركه يتم العقوق، ومن رعايتها: ضبط أحوالهم الشريفة، وتدوين مناقبهم المنيفة، وتخليد محاسنهم في بطون الأوراق، والمحافظة على حفظ نتائج أفكارهم[١] التي هي من أنفس الأعلاق، ومن ذلك:

تعظيمهم باللسان، والجنان، والأركان، وعدم التعرض لما يؤذيهم بالدخول في أعراضهم الجميلة، والاستهانة بمناقبهم الجزيلة الجليلة، والتقعد لهم بمراصد الاستخفاف، والتنصب لهم بمنصة الخلاف.

وقد ورد في الآيات الفرقانية، والأحاديث النبوية، والآثار المصطفوية، ما يقتضي النهي عن ذلك وتتخطى بمن عمل به أيمن المسالك»[٢].

وممن له علينا هذا الحق شيخنا العلامة الشيخ: أحمد بن يحيى النجمي - حفظه اللَّه - فقد انتفعنا بعلمه كثيرًا فجزاه اللَّه عنا أفضل الجزاء.

وقد كثر الطلب من الإخوة المحبين للشيخ في كتابة نبذة ولو مختصرة عنه وعن حياته الذاتية والعلمية، وألحُّوا علي في ذلك غاية الإلحاح، وأنا أتهرب من ذلك،

---

(١) المراد بهذا نتاجهم العلمي الذي أتعبوا فيه أنفسهم، وكدوا فيه أذهانهم، وأكلوا فيه أفكارهم وأتعبوها حتى انتجوه، ولنا أخرجوه، فجزاهم اللَّه عنا خير الجزاء.

(٢) من مقدمة «حدائق الزهر» للعلامة: الحسن بن أحمد عاكش.

واعتذر دائمًا إليهم، لعلمي بالعجز والقصور لدي، ولكن كل ذلك لم يفد شيئًا ولم يعذرني منهم أحد، فلما رأيت ذلك منهم استعنت بالله تعالى وحده في كتابة هذه النبذة المختصرة عن شيخنا - حفظه الله تعالى-.

فأقول:

□ اسمه ونسبه:

هو شيخنا الفاضل العلامة، المحدث، المسند، الفقيه، مفتي منطقة جازان حاليًا، وحامل راية السنة والحديث فيها الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي آل شبير من بني حُمَّد، إحدى القبائل المشهورة بمنطقة جازان.

□ ولادته:

ولد الشيخ - حفظه الله - بقرية النجامية في الثاني والعشرين من شهر شوال عام ستة وأربعين وثلثمائة وألف للهجرة النبوية (٢٢/ ١٠/ ١٣٤٦هـ) ونشأ في حجر أبوين صالحين ليس لهما سواه.

ولهذا فقد نذرا به لله - أي: لا يكلفانه بشئ من أعمال الدنيا - وقد حقق الله ما أرادا.

فكانا محافظين عليه محافظة تامة، حتى إنهما لا يتركانه يلعب بين الأولاد ولما بلغ سن التمييز أدخلاه كتاتيب القرية فتعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن في الكتاتيب الأهلية قبل مجيء الشيخ عبدالله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث مرات آخرها في العام (١٣٥٨هـ) الذي قدم فيه الشيخ القرعاوي.

حيث قرأ القرآن أولًا على الشيخ عبده بن محمد عقيل النجمي عام (١٣٥٥هـ)، ثم قرأ أيضًا على الشيخ يحيى فقيه عبسي وهو من أهل اليمن وكان قد قدم على النجامية وبقي بها ودرس عليه شيخنا في عام (١٣٥٨هـ) ولما قدم الشيخ عبدالله القرعاوي، حصلت بينه وبين هذا المعلم مناظرة في مسألة الاستواء - وكان أشعريًّا - فهزم، وهرب على إثر ذلك ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

□ نشأته العلمية:

وبعدما هرب مدرسهم الأشعري تردد الشيخ مع عمَّيه الشيخ حسن بن محمد، والشيخ حسين بن محمد النجميين على الشيخ عبداللَّه القرعاوي في مدينة صامطة أيامًا ولكنه لم يستمر، وكان ذلك في عام (١٣٥٩هـ) وفي عام (١٣٦٠) وفي صفر بالتحديد التحق شيخنا بالمدرسة السلفية وقرأ القرآن هذه المرة بأمر الشيخ عبداللَّه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ على الشيخ عثمان بن عثمان حملي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قرأ عليه القرآن مجودًا وحفظ (تحفة الأطفال) و (هداية المستفيد) و (الثلاثة الأصول) و (الأربعين النووية) و (الحساب) وأتقن تعلم الخط.

وكان يجلس في الحلقة التي وضعه الشيخ فيها إلى أن يتفرق الطلبة الصغار بعد صلاة الظهر، ثم ينضم إلى الحلقة الكبرى التي يتولى الشيخ عبداللَّه القرعاوي تدريسها بنفسه فيجلس معهم من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العشاء، ثم يعود مع عميه المذكورين سابقًا إلى قريته (النجامية).

وبعد أربعة أشهر أذن له الشيخ عبداللَّه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أن ينضم إلى هذه الحلقة - حلقة الكبار - التي يدرسها الشيخ بنفسه، فقرأ على الشيخ فيها: (الرحبية) في الفرائض، و (الآجرومية) في النحو، و (كتاب التوحيد) و (بلوغ المرام) و (البيقونية)، و (نخبة الفكر) وشرحها (نزهة النظر)، و (مختصرات في السيرة)، و (تصريف الغزي)، و (العوامل في النحو مائة)، و (والورقات) في أصول الفقه، و (العقيدة الطحاوية) بشرح الشيخ عبداللَّه القرعاوي، قبل أن يروا شرح ابن أبي العز عليها، ودرس أيضًا شيئًا من (الألفية) لابن مالك، و (الدرر البهية) مع شرحها (الدراري المضية) في الفقه، وكلاهما للشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ وغير ذلك من الكتب سواء منها ما درسوه كمادة مقررة كالكتب السابقة أو ما درسوه على سبيل التثقف لبعض الرسائل والكتب الصغيرة، أو كانوا يرجعون إليه عند البحث كـ (نيل الأوطار) و (زاد المعاد) و (نور اليقين) و (الموطأ) و (الأمهات).

وفي عام (١٣٦٢هـ) وزَّع عليهم الشيخ عبداللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ أجزاء الأمهات الموجودة في مكتبته وهي: (الصحيحين) و (سنن أبي داود) و (سنن النسائي)

و(موطأ الإمام مالك) فقرءوا عليه فيها ولم يكملوها ؛ لأنهم تفرقوا بسبب القحط .

وفي عام (١٣٦٤هـ) عادوا فقرءوا عليه ثم أجازه الشيخ عبداللّه - رحمه اللّه تعالى - برواية الأمهات الست .

وفي عام (١٣٦٩هـ) درس على الشيخ إبراهيم بن محمد العمودي رَحِمَهُ اللَّهُ قاضي صامطة في ذلك الوقت كتاب إصلاح المجتمع ، وكتاب الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في الفقه المرتب على صيغة السؤال والجواب واسمه : (الإرشاد إلى معرفة الأحكام) .

كما درس على الشيخ على بن الشيخ عثمان زياد الصومالي بأمر من الشيخ عبداللّه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في النحو كتاب (العوامل في النحو مائة) وكتب أخرى في النحو والصرف .

وفي عام (١٣٨٤هـ) حضر في حلقة الشيخ الإمام العلامة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لمدة تقارب شهران في التفسير في (تفسير ابن جرير الطبري) ، بقراءة عبدالعزيز الشلهوب كما حضر في العام نفسه في حلقة شيخنا الإمام العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ لمدة شهر ونصف تقريبًا في صحيح البخاري بين المغرب والعشاء .

□ شيوخه:

مما مضى يتبين لنا شيوخه - حفظه اللّه - وهذا ترتيبهم :

١ - الشيخ إبراهيم بن محمد العمودي - قاضي صامطة في حينه .

٢ - الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ .

٣ - الشيخ العلامة الداعية المجدد في جنوب المملكة عبداللّه القرعاوي - رحمه اللّه تعالى - وبه تخرج الشيخ أحمد ، فهو أكثر شيوخه إفادة له .

٤ - الشيخ عبده بن محمد عقيل النجمي .

٥ - الشيخ عثمان بن عثمان حملي .

٦ - الشيخ علي ابن الشيخ عثمان زياد الصومالي.

٧ - الشيخ الإمام العلامة مفتي البلاد السعودية السابق محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨ - الشيخ يحيى فقيه عبسي اليمني.

□ تلاميذه:

ولشيخنا - حفظه اللَّه تعالى - كثير وكثير من التلاميذ، فمن أمضى مثل هذه المدة في التدريس التي تقارب النصف قرن، كم يتصور أن يكون تلاميذه، ولو ذهبت أعددهم لاحتجت إلى مجلد ضخم؛ وإنما أذكر نموذجًا يستدل به على الباقين فمنهم:

١ - شيخنا العلامة المحدث ناصر السنة الشيخ ربيع بن هادي.

٢ - شيخنا العلامة الفقيه زيد بن محمد هادي المدخلي.

٣ - شيخنا العالم الفاضل علي بن ناصر الفقيهي.

وإنما اكتفيت بذكر هؤلاء الثلاثة لشهرتهم في الأوساط العلمية، فلا يعتب علينا أحد.

□ ذكاؤه - وفقه اللَّه -:

يتمتع الشيخ بدرجة من الذكاء عالية جدًّا وهاك قصة تدل على ذكائه وحافظته منذ صغره - حفظه اللَّه-:

يقول العم الشيخ عمر بن أحمد جردي المدخلي - وفقه اللَّه-:

«لما كان الشيخ أحمد يحضر مع عميه حسنًا وحسينًا النجميين إلى المدرسة السلفية بصامطة - أي: في عام (١٣٥٩هـ) - وعمره آنذاك ١٣ سنة كان يسمع الدروس التي يلقيها الشيخ عبداللَّه القرعاوي على تلاميذه الكبار، وكان يحفظها حفظًا».

قلت: وهذا هو ما جعل الشيخ عبداللَّه القرعاوي يلحقه بحلقة الكبار الذين

كان الشيخ يتولى تدريسهم بنفسه؛ لأنه رأى نجابته وسرعة حفظه وذكائه.

□ أعماله:

عمل شيخنا - حفظه اللَّه - مدرسًا بمدارس شيخه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ احتسابًا، وعندما بدأت الوظائف عين مدرسًا بقريته (النجامية) وكان ذلك في عام (١٣٦٧هـ)، وفي عام (١٣٧٢هـ) نقل إمامًا ومدرسًا في قرية (أبو سبيلة) في (بالحُرَّث)، وفي عام (١٣٧٤هـ) وفي (١/ ١/ ١٣٧٤هـ) بالتحديد عندما فتح المعهد العلمي في (صامطة) عين مدرسًا به حتى عام (١٣٨٤هـ) حيث استقال من التدريس بالمعهد على أمل أن يدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وسافر إليها؛ لكن حصلت له ظروف حالت دون ذلك، فعاد إلى المنطقة وكتب اللَّه له التعيين واعظًا مرشدًا بوزارة العدل بمنطقة جازان فقام بالوعظ والإرشاد أحسن قيام.

وفي عام (١٣٨٧هـ) وبالتحديد في (١/ ٧) منه عاد مدرسًا بالمعهد العلمي بمدينة (جازان) حسب طلبه، وفي ابتداء الدراسة عام ١٣٨٩هـ عاد إلى التدريس بمعهد (صامطة) وبقي به مدرسًا حتى أحيل على التقاعد في (١/ ٧/ ١٤١٠هـ).

ومنذ ذلك الحين إلى كتابة هذه الأسطر، وهو مشتغل بالتدريس في بيته والمسجد المجاور له ومساجد أخرى في المنطقة في دروس أسبوعية مع القيام بأمر الفتوى.

وهو في هذا كله قد عمل بوصية شيخه له في مداومته على التعليم والمحافظة على المتعلمين وخاصة الغرباء والمنقطعين منهم، وله - حفظه اللَّه - على ذلك صبر عجيب، فجزاه اللَّه عنا خيرًا.

وقد عمل أيضًا بوصية شيخه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ فواصل الدراسة والبحث والاستفادة، وخاصة في علمي الحديث والفقه وأصولهما حتى فاق أقرانه وأصبح له في ذلك اليد الطولى، بارك اللَّه في عمره وعلمه ونفع بجهوده.

□ آثاره العلمية:

لشيخنا - حفظه اللّه - آثار علمية كثيرة بعضها طبع وبعضها لم يطبع، نسأل اللّه تعالى أن ييسر طبعه حتى يحصل الانتفاع به ومن ذلك:

١ - أوضح الإشارة في الرد على من أباح الممنوع من الزيارة.

٢ - تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام - طبع منه جزء صغير جدًّا جدًّا.

٣ - تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

٤ - رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد.

٥ - رسالة في حكم الجهر بالبسملة.

٦ - فتح الرب الودود في الفتاوى والردود.

٧ - المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال.

وغير ذلك من المؤلفات النافعة التي قدمها للمسلمين جزاه اللّه خير الجزاء ونفع به الإسلام والمسلمين.

وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه تلميذه
محمد بن هادي بن علي المدخلي
المحاضر بكلية الحديث بالجامعة
الإسلامية بالمدينة النبوية

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه اللَّه تعالى :

□ **السؤال الأول: ما حد التوحيد، وما أقسامه؟**

الجواب : حد التوحيد الجامع لكل أنواعه هو علم العبد، واعتقاده، واعترافه، وإيمانه بتفرد الرب بكل صفة كمال، وتوحده في ذلك، واعتقاد أنه لا شريك له، ولا مثيل له في كماله، وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، ثم إفراده بأنواع العبادة، فدخل في هذا التعريف أقسام التوحيد الثلاثة : -

أحدها : توحيد الربوبية : وهو الاعتراف بانفراد الرب بالخلق، والرزق، والتدبير والتربية .

الثاني : توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات جميع ما أثبته اللَّه لنفسه أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء الحسنى، وما دلت عليه من الصفات من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تحريف، ولا تعطيل .

الثالث : توحيد العبادة : وهو إفراد اللَّه وحده بأجناس العبادات، وأنواعها، وإفرادها وإخلاصها للَّه من غير إشراك به في شيء منها .

فهذه أقسام التوحيد التي لا يكون العبد موحدًا حتى يلتزم بها كلها، ويقوم بها .

أقول : التوحيد معناه : اعتقاد توحد اللَّه، وانفراده بكل صفة كمال، فله القدرة التي لا يعجزها شيء، وله الحكمة العظيمة التي تضع الأشياء في مواضعها، وله العلم الذي هو محيط بجميع المعلومات؛ لا يخفى عليه شيء منها، ولا يفوت علمه معلوم قال اللَّه تعالى : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١، الحديد: ٣:] .

فمن آمن بأن اللَّه هو الخالق؛ الرازق؛ القدير؛ العليم الذي أحاط بكل شيء علمًا، واعتقد بأن اللَّه هو الذي خلقه، وهو الذي يسر له رزقه، وهو الذي يحصي عليه أعماله؛ قال تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] وأنه سيجزي كل عبد بما عمل؛ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر؛ يوفق من يشاء لأعمال السعادة بفضله، ويخذل من يشاء بعدله، ويملك السموات بما فيها؛ فهو مالك السموات السبع ومن فيها، ومالك الأرضين السبع ومن فيها فإذا

....

اعتقد العبد هذا الاعتقاد، واعترف بربوبية ربه عليه؛ فإنه يجب عليه حينئذ أن يوحده بأفعاله؛ الأفعال التي خاطب اللَّه بها نبيه محمدًا ﷺ أن يكلف بها أمته، فالاعتراف بألوهية ربه له يجعله يوحده بأعماله، وأفعاله على مقتضى ما شرع على لسان رسوله ﷺ.

والمهم أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: -

١- توحيد اللَّه بأفعاله كالخلق، والرزق، والتدبير.

٢- توحيد اللَّه بأسمائه وصفاته كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغير ذلك.

٣- توحيده بأفعالنا؛ وهي العبادة التي كلفنا اللَّه بها، وجعلها سببًا في نجاة من أتى بها وسعادته وفوزه بالجنة، وهذه أقسام التوحيد؛ وهي باختصار:

١- **توحيد الربوبية**: وهو لا يدخل أحدًا في الإسلام لأنَّ المشركين الذين بعث فيهم رسول اللَّه ﷺ كانوا يقرّون به، ولم يدخلهم في الإسلام.

٢- **توحيد الأسماء والصفات**: وهو الإيمان بها على الوجه اللائق بجلال اللَّه تبارك وتعالى.

٣- **توحيد الألوهية**: وهو الذي صارت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، وباللَّه التوفيق.

□ **السؤال الثاني: ما هو الإيمان، والإسلام، وأصولهما الكلية ؟**

الجواب: الإيمان هو التصديق الجازم لجميع ما أمر اللَّه ورسوله بالتصديق به المتضمن للعمل؛ الذي هو الإسلام؛ وهو الاستسلام للَّه وحده، والانقياد لطاعته.

وأما أصولهما: فهي ما احتوت عليه هذه الآية الكريمة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ الآية (١٣٦) من سورة «البقرة»؛ وما فسر به النبي ﷺ في حديث جبريل وغيره؛ حيث قال:

الإيمان: أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

والإسلام: هو أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأنَّ محمدًا رسول اللَّه، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت؛ ففسر الإيمان بعقائد القلوب، وفسر الإسلام بالقيام بالشرائع الظاهرة.

أقول: الإيمان، والإسلام يندرج كل منهما تحت الآخر ويشمله؛ إذا ذكر كل واحد منهما منفردًا. أما إن ذكرا معًا كما في حديث جبريل؛ فإنه في هذه الحالة يطلق الإسلام على الخمسة الأركان المعروفة الظاهرة؛ أمَّا الإيمان فيطلق على العقائد الباطنة، وكلٌّ منها يدخل تحت الآخر من وجه.

أحدها: قوله[1]: يستلزم الاعتقاد بما تضمنه من شهادة أن لا اله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه فهذا القول يدخل به العبد في الإسلام؛ وهو الشهادة للَّه بالوحدانية، ونفيها عما سواه والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، فمن لم يقم بهاتين الشهادتين لم يكن مسلمًا، ولا دخل في الإسلام فهما مفتاح الإسلام، والإيمان، ومن طريقهما يتم التعامل مع اللَّه ﷻ بأداء العبادة له ﷻ على نحو ما شرع رسوله ﷺ.

وأما بقية الأركان فكلها فعلية:

---

(١) أي السعدي رحمه الله: «والإسلام: هو أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأنَّ محمداً رسول اللَّه».

....

أولها الصلاة؛ وهي تتعلق بالبدن، ويشترك فيها اللسان، والقلب، والجوارح.

وأما الزكاة؛ فهي تتعلق بالأموال؛ أي: بأن يؤدي العبد الفرائض التي فرضها اللَّه في أنواع المال سواءً كانت الزكاة حبوبًا أو مواشي أو نقودًا أو عروض تجارة كما هو معلوم في كتب الفقه.

وأما الركن الرابع؛ فهو صوم شهر رمضان بنّية الإمساك عن الطعام، والشراب، والجماع ومقدماته من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، وهذه الفريضة تتعلق بالشهوات الثلاث المطعم والمشرب، والمنكح، أي: يمسك عنها في هذا الوقت عبودية للَّه ﷻ على مقتضى شرعه الذي شرع على لسان رسوله ﷺ.

والركن الخامس: هو حج بيت اللَّه الحرام مرة في العمر، وكذلك العمرة.

أما الإيمان: فأركانه ستة؛ وكلها تتعلق بالاعتقاد:

فأولها الإيمان باللَّه؛ أي: الإيمان بوجوده، وقدرته على كل شيء، وعلمه بكل معلوم وحكمته في خلقه، وتدبيره، وما يتعلق بذلك من صفات اللَّه ﷻ على الوجه اللائق بجلاله.

والإيمان بأن السموات السبع، ومن فيها من الملائكة، والأرضين السبع، وما فيها كلها ملك للَّه ﷻ يتصرف فيها، ويدبرها، وأن الدنيا دار ابتلاء يبتلي اللَّه فيها عباده بالغنى والفقر، والحياة والموت، والصحة والمرض، والإيمان والكفر.

وأن البعث بعد الموت لابد كائن، وبعد البعث سيتم الحساب على جميع العباد، ويجزى كل بما عمل إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وأن الجنة دار المطيعين، وأن النار عقاب العاصين.

والإيمان بوجود الملائكة، وأنواعهم، والإيمان بالكتب المنزلة، والرسل المرسلة؛ من ذكر منهم في القرآن نؤمن به على التعيين، ومن لم يذكر فإنا نؤمن بأن للَّه رسلًا لا نعلمهم، وله سبحانه كتبًا لا نعرفها، ونؤمن بالبعث بعد الموت كما تقدم شرحه.

ونؤمن بالقدر خيره وشره من اللَّه تعالى، وفي ضمن ذلك نؤمن بأن اللَّه عدل لا يجور، ولا يظلم، ولا يعذب أحدًا إلا بذنب؛ كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] إلى غير ذلك؛ فهذه هي أركان الإيمان الستة، وكلها اعتقادية تتعلق بالقلب والأعمال فيها تابعة للعقيدة، وباللَّه التوفيق.

□ **السؤال الثالث: ما هي أركان الإيمان بأسماء اللَّه وصفاته ؟**

الجواب هي ثلاثة : -

أولًا : الإيمان بالأسماء الحسنى .

ثانيًا : الإيمان بما دلت عليه من الصفات .

ثالثًا : الإيمان بأحكام صفاته ، ومتعلقاتها ، فنؤمن بأنه عليم له العلم الكامل ، المحيط بكل شيء .

وأنه قدير ذو قدرة عظيمة يقدر بها على كل شيء ، وأنه رحيم رحمان ذو رحمة واسعة يرحم بها من يشاء ، وهكذا بقية الأسماء الحسنى ، والصفات ، ومتعلقاتها .

أقول : أركان الإيمان بأسماء اللَّه وصفاته : هي ثلاثة :

أولًا : الإيمان بالأسماء الحسنى كلها ؛ أي كل الأسماء الحسنى التي وردت في كتاب اللَّه ، وسنة رسوله ﷺ، فاسم العليم ، واسم الحكيم ، واسم السميع ، واسم البصير وهكذا سائر الأسماء ، والأسماء كثيرة ورد فيها : «**إنَّ للَّه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»(١) هذا حديث متفق عليه ؛ لكن الرواية التي فيها التسمية بالتسعة والتسعين رواية للترمذي وفي صحتها عن النبي ﷺ نظر ؛ إلا أنَّ كل واحد من تلك الأسماء يمكن أن يكون عليه دليل ، ولابن منده في كتاب الإيمان له في ذلك أدلة أوردها على الأسماء ؛ علمًا بأن أسماء اللَّه ﷻ لا يحيط بها إلا هو ﷻ ، ولهذا يقول النبي ﷺ : «**اللَّهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»(٢) فهذا يدلنا على أنَّ الأسماء لا تنحصر

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط ، وفي كتاب التوحيد باب إنَّ للَّه مائة اسم إلاَّ واحد ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في أسماء اللَّه تعالى وفضل من أحصاها من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في (ج١ / ٣٩١) برقم (٣٧١٢ و٤٣١٨) ، وابن حبان في صحيحه في (ج٣/ ٢٥٣) برقم (٩٧٢) والحاكم في المستدرك على الصحيحين في (ج١ / ٦٩٠) برقم (١٨٧٧) والحارث في مسنده «زوائد الهيثمي» في (ج٢ / ٩٥٧) برقم (١٠٥٧) وأبي يعلى في مسنده في (ج٩ / ١٩٨) برقم (٥٢٩٧) والطبراني في المعجم الكبير في (ج١٠ / ١٦٩) برقم (١٠٣٥٢) .

....

والله ﷻ يعلّم بعض عباده شيئًا من تلك الأسماء.

ثانيًا: نؤمن بما دلت عليه تلك الأسماء من الصفات، فالعليم دلّ على صفة العلم؛ ولكن صفة العلم الذي هو صفة لله؛ علم لا يفوته شيء، ولا يخرج عنه شيء؛ قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهكذا اسم القدير؛ نؤمن بصفة القدرة لله ﷻ التي لا يعجزها شيء؛ الرحيم نؤمن بصفة الرحمة؛ التي عمت المخلوقين جميعًا.

ثالثًا: الإيمان بصفاته المستخرجة من تلك الأسماء ومتعلقاتها، فهذا كله يقتضي الإيمان بأسماء الله وصفاته، وبالله التوفيق.

□ السؤال الرابع: ما قولكم في مسائل علو الله على الخلق، واستوائه على العرش ؟

الجواب: نعرف ربنا بأنه علي أعلى بكل معنى واعتبار: -

١- علو ذات. ٢- علو القدر والصفات. ٣- علو القهر.

وأنه بائن من خلقه؛ مستوٍ على عرشه؛ كما وصف لنا نفسه بذلك، والاستواء معلوم والكيف مجهول، فقد أخبرنا أنه استوى، ولم يخبرنا عن الكيفية، وكذلك نقول في جميع صفات الباري أنه أخبرنا بها؛ ولم يخبرنا عن كيفيتها، فعلينا أن نؤمن بكل ما أخبرنا في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ولا نزيد على ذلك، ولا ننقص منه.

أقول: علو الله على خلقه معلوم بالفطرة، فالعبد إذا دعى الله اتجه بقلبه وروحه إلى الله ﷻ رافعًا رأسه إلى السماء، وطالبًا المدد ممن استوى على العرش، ويقول أهل السنة بأن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، وعلمه بكل مكان، والاستواء معناه الاستقرار؛ لأن هذا مقتضى اللغة؛ قال الله ﷻ: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣ ١٤] فالاستواء هنا معناه الاستقرار، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] أي استقرت عليه، فمن أراد أن يتأوله بغير هذا المعنى فإنه يعتبر ضالًا، وإن الأشاعرة يتأولون هذه الصفة بأنه استولى، وهذا باطل؛ لأنهم يستدلون ببيت الأخطل:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف أو دمٍ مهراق

والأخطل نصراني خبيث لا يمكن أن يُمثَّل بشعره لتفسير القرآن.

علمًا بأن الاستيلاء لايكون إلا على شيء لم يكن العبد مستوليًا عليه قبل ذلك، ولهذا أنكر مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ على من قال له: «أرأيت قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق الإمام مالك وعلته الرُّحُضاء- أي العرق- ثمَّ رفع رأسه فقال: الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه

....

بدعة وأنت رجل سوء أخرجوه، فأمر به فأخرج»[(١)] ومن فسر الاستواء بأنه الهيمنة أيضًا فهو بمعنى الاستيلاء وكل ذلك جهل، وضلال، فمن الذي كان يهيمن على العرش قبل خالق العرش ﷻ.

وهذا جانب من العلو؛ وهو علو الذات بقي جانبان هما علو القدر، وعلو الصفات:

فإذا كان اللَّه ﷻ له ذاتٌ لا تشبه الذوات، فيجب أن نعلم بأن له صفات لا تشبه الصفات؛ فإذا وصفنا الإنسان بالقدرة، فهل الاتفاق في الاسم يلزم منه الاتفاق في الحقيقة ؟

الجواب: لا، فقدرة اللَّه لا يتعاصى عليها شيء؛ أما قدرة المخلوق فهي بقَدْره.

وهكذا علم اللَّه، وهكذا سائر الصفات، فعلم اللَّه شامل لكل معلوم، وأما علم الإنسان فهو محدود.

وإذن فعلو القدر للَّه ﷻ يلزم منه أيضًا علو الصفات له ﷻ، واللَّه ﷻ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ويقول: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

أما علو القهر؛ فيجب أن نؤمن بأن اللَّه قاهر لجميع خلقه؛ غالب لهم؛ حاكم عليهم؛ يفعل فيهم ما يشاء، ويحكم فيهم بما يريد؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] ولهذا فلق البحر لموسى عليه السلام وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، وجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وأغرق بدعوة نوح جميع أهل الأرض، ونجَّاه ومن معه في السفينة، وأهلك عادًا بالريح العقيم، وأهلك قوم صالح بالصيحة، ورفع عيسى إلى

---

(١) قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني المقدسي في كتابه البديع الاقتصاد في الإعتقاد (ص٨٦): «أمَّا قول مالك فثابتٌ عنه أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥١٦) من طريقين وذكره الحافظ في الفتح (١٣ / ٤٠٦ - ٤٠٧) وحكم بأن إسناده جيد.

رواه اللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة رقم (٦٤٤ ج٢ / ٣٩٨) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف ضمن الرسائل المنيرية (١ / ١١١) وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٣٢٥) والدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٧) والذهبي في العلو (ص١٠٣) وقال: وهذا ثابتٌ عن مالكٍ» اهـ.

....

السماء، ونجّاه من مكر اليهود، وعرج بمحمد حتى رفعه فوق السبع الطباق، وهذه دلائل على قوة الرب تبارك وتعالى، وقهره لعباده.

الخلاصة: أن العلو يتنوع إلى ثلاثة أنواع: علو ذات، وعلو قدر، وعلو قهر؛ ويجب أن نؤمن بذلك كله، وبأن اللّه مستوٍ على عرشه؛ بائن من خلقه، وعلمه بكل مكان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المجادلة: ٧] ولم يلجئنا اللّه بالاتصال به إلى واسطة بيننا وبينه؛ بل قد أخبرنا، وبيّن لنا بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فيا أيها الإنسان ادع ربك في السر والعلن، والجأ إليه في كل ما يهمك من الأمور؛ فهو القادر على تفريج الكربات، وهو المجيب للدعوات؛ إياك أن تلجأ إلى غيره فتضل، وتضيع، وتنقطع حتى لا يبالي بك في أي وادٍ هلكت، وباللّه التوفيق.

□ **السؤال الخامس: ما قولكم في الرحمة، والنزول إلى السماء الدنيا، ونحوها؟**

الجواب: نؤمن، ونقر بكل ما وصف اللَّه به نفسه من الرحمة، والرضى، والنزول والمجيء، وبما وصفه به رسول اللَّه ﷺ على وجه لا يماثله فيه أحد من خلقه؛ فإنه ليس كمثله شيء، فكما أن للَّه ذاتًا لاتشبهها الذوات، فله صفات لاتشبهها الصفات.

وبرهان ذلك ما ثبت من التفصيلات العظيمة في الكتاب والسنة في إثباتها، والثناء على اللَّه بها، وما ورد على وجه العموم في تنزيهه عن المثل والند، والكفو، والشريك.

أقول: وصف اللَّه نفسه بالرحمة، وسمى نفسه رحمانًا، ورحيمًا، وأخبر أنَّ له مائة رحمة أنزل منها واحدة، فبها يتراحم الناس، وبها ترفع البهيمة حافرها عن ولدها، وأبقى تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده المؤمنين يوم القيامة(١).

ولا يجوز أن تتأول الرحمة كما يفعل الأشاعرة؛ بل نؤمن بأن صفات اللَّه ﷻ لا يشبهه فيها موصوف من المخلوقين؛ كما أننا نؤمن بأن اللَّه ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأوسط أو الثلث الأخير كل ليلة، وفي عشية عرفة نؤمن بأنه ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: «**هل من سائل يعطى؛ هل من داع يستجاب له؛ هل من مستغفر يغفر له؛ حتى ينفجر الصبح**»(٢).

وإذا وصفنا اللَّه بالنزول إلى السماء الدنيا، فنحن نثبت له نزولًا يليق بجلاله، ولا يجوز أن نقول خلا منه العرش أم لم يخلو؟ فإن هذا إنما يكون من صفات المخلوقين؛ وهو يصف نفسه ﷻ بأنه ليس كمثله شيء، فكما أن للَّه ذاتًا لا تشبه الذوات، ولا تشبهها الذوات فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين، ولا تشبهها صفات المخلوقين.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب جعل اللَّه الرحمة في مائة جزء، والإمام مسلم في كتاب التوبة باب رحمة اللَّه تعالى وأنَّها سبقت غضبه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر.

وقول المؤلف رحمه الله: «وبرهان ذلك ما ثبت من التفصيلات العظيمة في الكتاب والسنة في إثباتها، والثناء على الله بتلك الصفات، وما ورد على وجه العموم بتنزيهه عن المثل والكفء والشريك»؛ أي: بأن الله عز وجل نزّه نفسه عن المثل فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وكذلك النّد فهو لا نّد له سبحانه وكذلك الكفء ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

وكذلك الشريك أخبر أنه لا شريك له في ملكه تبارك وتعالى فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] وأخبر بأنهم لا يملكون نقيرا، فهذه كلها فيها إثبات لصفات الله عز وجل، وتنزيهه عن صفات المخلوقين، وتوحده بصفات الألوهية التي لا يشاركه فيها أحد، وبالله التوفيق.

□ السؤال السادس: ما قولكم في كلام الله، وفي القرآن؟

الجواب: نقول القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود، والله المتكلم به حقًّا لفظه ومعانيه، ولم يزل، ولا يزال متكلمًا بما شاء إذا شاء، وكلامه لا يَنْفَد، ولا له منتهى.

أقول: كلام الله صفة من صفاته أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقال جلّ من قائل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] فهذه الآيات أضاف الله ﷻ فيها كلامه إلى نفسه وأهل السنة والجماعة يقولون: نعتقد بأن الله يتكلم بكلام قديم النوع؛ حادث الآحاد؛ قديم النوع أي نوع الكلام قديم، وحادث الآحاد بمعنى أنَّه يتكلم في الأمور التي يحتاج إليها في هذا الكون وسياسته، فيخلق خلقًا، ويميت أقوامًا، ويعزُّ ذليلًا، ويذلُّ عزيزًا، ويفقر غنيًا، ويغني فقيرًا، ويعطي ملكًا، ويسلب ملكًا إلى غير ذلك.

فكلام الله عام، والقرآن من كلام الله أنزله على نبيه محمد -صلوات الله وسلامه عليه-؛ ليهدي به من أراد الله له الهداية، وقد أجمع أهل العلم من أهل السنة والجماعة أن من قال أن القرآن مخلوق فإنه قد كفر، وقد ذكر اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة هذا القول عن ما يزيد عن خمسمائة من العلماء في العصور المتقدمة ومن جميع البلدان، فدلّ على أنَّ ذلك إجماع؛ وهم يعتقدون أن الكلام صفة من صفات الله يتكلم متى شاء، وكيف شاء، فمن يقول خلاف ذلك فإنه مبتدع ضال، فعدم الكلام نقص في المخلوقين، فكيف إذا كان بالخالق؟!!

والكلام باستمرار بلا توقف هذا يعدُّ عيبًا أيضًا؛ لذلك قالوا: إن الله وصف نفسه بالكلام؛ أي أنه متكلم إذا شاء متى شاء؛ قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] لذلك قالوا: إن الله يتكلم بكلام قديم النوع؛ حادث الآحاد، فالله تكلم بالتوراة، وكتبها لعبده موسى وكلّمه على الطور؛ لذلك قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قوله: «منه بدأ، وإليه يعود» أي: أنَّ القرآن بدأ من الله؛ أي: خرج منه؛ لأنه هو

المتكلم به .

ولهذا قال بعض السلف : «ما تقرب أحدٌ إلى اللَّه بمثل ما خرج منه» يعني القرآن .

قوله : «ولم يزل ، ولا يزال متكلمًا بما شاء إذا شاء ، وكلامه لا ينفد ، ولا له منتهى» لذلك ؛ فانه يجب أن نؤمن بأن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق ، وأنه سيبقى في الناس إلى قرب الساعة ، وأنَّه سيسرى عليه ، ويسلب عندما يتركون العمل به ، والعياذ باللَّه ؛ هذه عقيدة المسلم ؛ التي يجب أن يعتقدها ، وباللَّه التوفيق .

□ **السؤال السابع: ما هو الإيمان المطلق، وهل يزيد وينقص؟**

الجواب: الإيمان اسم جامع لعقائد القلب، وأعماله، ، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فجميع الدين أصوله، وفروعه داخل في الإيمان، ويترتب على ذلك أنه يزيد بقوة الاعتقاد، وكثرته، وحسن الأعمال، والأقوال، وكثرتها، وينقص بضد ذلك.

وأقول: قد تقدم لنا أن الإيمان والإسلام يتداخلان، فيطلق أحدهما على الآخر؛ فإن ذكر الإيمان دخل فيه الإسلام، وإن ذكر الإسلام دخل فيه الإيمان إلا أنَّ الإيمان يطلق على العقائد الباطنة؛ كما ذكر ذلك في حديث جبريل عليه السلام «**الإيمان: أن تؤمن باللَّه، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

أما الإسلام فأُخبر أنه هو الأعمال الظاهرة، والنطق بالشهادتين؛ مع اعتقاد القلب أصل الإيمان والإسلام، ثم إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، هذه الخصال الخمس الظاهرة هي الإسلام.

وهنا السؤال عن الإيمان المطلق وهل يزيد وينقص أم لا ؟

فأجاب الشيخ السعدي رحمه الله بأنَّ الإيمان المطلق: «هو اسم جامع لعقائد القلب. . .» الخ وعقائد القلب هي الأركان الستة للإيمان؛ التي ذكرت في حديث جبريل.

وقوله: «اسم جامع لعقائد القلب»؛ أي: عقيدة الإيمان باللَّه؛ وهو الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بتوحده بالألوهية، وأنَّه هو الإله الحق؛ الذي يجب أن يعبد؛ بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، والإيمان بوجود الملائكة العباد المكرمون؛ الذين يقومون بالوظائف التي خصصها اللَّه لكل منهم، والإيمان بالكتب التي أنزلت من عند اللَّه، وأشهرها التوراة، والزبور، والإنجيل، وصحف إبراهيم وموسى، والقرآن؛ الذي نزل على نبينا محمد ﷺ؛ وهو المهيمن عليها.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، وفي كتاب التفسير باب قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، وفي كتاب مسلم باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

والإيمان بالرسل من أولهم نوح إلى أخرهم محمد ﷺ، وأنَّهم مرسلون من عند اللَّه؛ اصطفاهم اللَّه لرسالته، والوساطة بينه وبين خلقه، وكلَّفهم بمهمة تبليغ الأحكام الشرعية إلى عباده، واللَّه سبحانه قد أخبرنا بأنَّ الرسل منهم من قصَّ قصته على نبيه محمد، ومنهم من لم يقص قصته المهم أنَّهم ختموا بمحمدٍ ﷺ.

والإيمان بالقدر خيره وشره؛ أي: أنَّ القدر من اللَّه ﷻ؛ قد كتب في الذكر كلَّ شيءٍ، فكلُّ مخلوقٍ من المخلوقين كتب اللَّه أن يوجد في مكان كذا، وفي زمان كذا، وهل يكون مؤمنًا أو كافرًا؛ برًّا أو فاسقًا، وكلٌّ من الناس صائرٌ إلى ما كتب له أو عليه.

والإيمان باليوم الآخر؛ الذي يجازي فيه اللَّه العباد بما عملوا؛ هذا هو الإيمان؛ وهو اسم لعقائد القلب.

ويشمل الإيمان أعمال الجوارح، فالقيام، والركوع والسجود، والقراءة، والتشهد والتسبيح كل ذلك من أعمال الإيمان، والإنفاق من الصدقة التطوعيه والفريضة؛ كلها من أعمال الإيمان، وصوم العبد بترك شهواته للَّه تعالى ذلك من الإيمان، وحفظ العبد جوارحه عن الامتداد إلى أموال الناس، ومشي العبد من بيته إلى المسجد لأداء الصلوات الخمس ذلك من الإيمان، وخوف العبد من اللَّه ﷻ إذا أذنب، وتركه للذنوب؛ ذلك من الإيمان وهكذا.

قال الشيخ السعدي: «**فجميع عقائد الدين أصوله، وفروعه؛ داخلة في الإيمان**»؛ أي: كما مثلنا وإذا كان اللَّه ﷻ قد شكر لبغيّ من بني إسرائيل حين رأت كلبًا يلهث، ويأكل الثرى من العطش، فأنزلت خفها بخمارها، وملأته من الماء، وقدمته لذلك الكلب، فشكر اللَّه لها وغفر لها بسبب ذلك(١).

وذلك الرجل الذي قطع الغصن؛ الذي كان متدليًا؛ يؤذي المارة فأزاحه عنهم، فشكر اللَّه له(٢)، وغفر له، والإكثار من السجود ومن الأعمال الصالحة التي تزيد

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء باب حديث الغار، والإمام مسلم في كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجماعة والإمامة باب فضل التهجير إلى الظهر، وفي كتاب المظالم باب من أخذ ما يؤذي الناس في الطريق، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب بيان الشهداء، وفي كتاب البر والصلة باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.

....

الإيمان قوة، ونماءً، وبالعكس من ذلك الغفلة وقلة المبالات، وعدم الاهتمام بأعمال الدين كل ذلك موجب لضعف الدين في نفس العبد حتى يتلاشى فلا يبقى منه إلا شيء قليل.

ولهذا قال أهل العلم: الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فجميع الطاعات تزيد في الإيمان؛ فأداء الصلاة على الوجه المطلوب يزيد في الإيمان ومذاكرة العلم تزيد في الإيمان وحفظ السمع عن سماع الخنا يزيد في الإيمان، وحفظ البصر من النظر في المحرمات يزيد في الإيمان، وحفظ اليد عن البطش إلى ما حرم اللّه يزيد في الإيمان، فلا تمتد يد المؤمن إلى مال غيره؛ لتأخذه بسرقة أو نهب أو احتيال أو غير ذلك، ورجل المؤمن لا تمشي إلى المعاصي، فيمتنع عن ذلك؛ إيمانًا باللّه وذلك من الأعمال التي تزيد في الإيمان، وهكذا يقال في سائر الأعمال.

فمن اعتقد أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي؛ من اعتقد هذا الاعتقاد، فقد خرج من الإرجاء وعقيدة الإرجاء، ويكفينا من الأدلة على ذلك ما ورد من الأحاديث في الشفاعة.

وقد جاء في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الشفاعة؛ وأنَّ اللّه يأمر بإخراج قوم على سبيل التدني: **«انظروا من كان في قلبه زنة دينار من إيمان فأخرجوه»**[(١)]، **«ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا»**[(٢)]، **«يخرج من النار من قال لا إله إلَّا اللّه وفي قلبه أدنى وزن شعيرةٍ من إيمان»**[(٣)]، **«أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»**[(٤)]، **«اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة**

(١) هذه الرواية أخرجها الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم الحديث (١٠٧٠٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى من حديث أنس رضي الله عنه

(٣) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفي كتاب التوحيد باب قول اللّه تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وأخرجها مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلةً من حديث جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما.

(٤) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

....

من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا»[1] واللّه ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وباللّه التوفيق.

(١) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث أنس بن مالك، وفي كتاب التوحيد باب قول اللّه تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وفي باب قول اللّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وأخرجها مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ من حديث أنس رضي الله عنه، وفي باب أدنى أهل الجنة منزلةً من حديث جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما.

□ **السؤال الثامن: ما حكم الفاسق الملي ؟**

الجواب: من كان مؤمنًا، وهو مصرٌّ على المعاصي فهو مؤمن بما معه من الإيمان؛ فاسق بما تركه من واجبات الإيمان؛ ناقص الإيمان مستحق للوعد بإيمانه، وللوعيد بمعاصيه، ومع ذلك لا يخلد في النار فالإيمان المطلق التام يمنع من دخول النار، والإيمان الناقص يمنع من الخلود فيها.

وأقول: ما قرره الشيخ بهذا الجواب على هذا السؤال هو الحق، وهو قول أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للمرجئة؛ القائلين لا يضر مع الإيمان ذنب، والخوارج والمعتزلة؛ الذين يسمون بالوعيديه، ويخلدون بالكبيرة؛ خلافًا لهؤلاء، وهؤلاء؛ ذلك لأن اللَّه ﷻ ذم أصحاب المعاصي، وتوعدهم على معاصيهم، وعلى كبائرهم كما يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠] وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨] وكما يقول ﷻ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢] إلى غير ذلك من الآيات؛ التي توعد اللَّه فيها أصحاب الكبائر، ومن الأحاديث قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»[1] متفق عليه، وتأويل ذلك أن نفي الإيمان عن الزاني والشارب، والسارق، والمنتهب، نفيُ لكمال الإيمان، فهو يخرج من الإيمان، ويبقى في دائرة الإسلام، وفي حديث عمران بن حصين: «أن امرأة من جهينة أتت نبي اللَّه ﷺ وهي حبلى من الزنى، فقالت: يا نبي اللَّه أصبت حدًّا فأقمه علي، فدعا

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المظالم باب النهبى بغير إذن صاحبه، وفي كتاب الأشربة وقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ﴾، وفي كتاب الحدود باب ما يحذر من الحدود الزنا وشرب الخمر، وفي كتاب الحدود باب السارق حين يسرق. وفي كتاب المحاربين من أهل الكفر باب إثم الزناة، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي وفي باب صلاة الكسوف من حديث أبي هريرة ﷺ.

....

نبي اللَّه ﷺ وليها، فقال: «**أحسن إليها، فإذا وضعت، فائتني بها**» ففعل، فأمر بها نبي اللَّه ﷺ، فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي اللَّه وقد زنت!!، فقال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها للَّه تعالى**»[1] رواه مسلم؛ إلى غير ذلك من الأدلة الشرعية الدالة على أنَّ مقترف الكبائر مذموم، وملوم بحسب ما اقترف من الكبائر إلا أنه باقٍ على إسلامه، ويرجو ما يرجوه الموحدون، واللَّه ﷻ يقول في القاتل: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ فسماه أخًا مع أنه قاتل، وكذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩- ١٠] فسماهم إخوة مع القتال الحاصل بينهما وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «أتي النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فمنَّا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف؛ قال رجل: ما له أخزاه اللَّه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**»[2] فسماه أخًا مع أنه شارب خمر، ومدمن عليه.

فهذه أدلة تدل على بطلان ما ذهب إليه المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وتدل على بطلان ما ذهب إليه الخوارج، والمعتزلة؛ من تخليد أصحاب الكبائر في النار.

وكم من الأدلة الواردة في السنة؛ التي تدل على أن أصحاب الكبائر يعذبون في النار، ثم يخرجون منها، ويدخلون الجنة من ذلك ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ يقول اللَّه: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا، وعادوا حمما، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل**» أو قال: حمية السيل، وقال النبي ﷺ: «**ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية**»[3] متفق عليه، وفي رواية

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنَّه ليس بخارجٍ من الملة.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية، وفي باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

لمسلم: «**حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئًا ممن أراد اللَّه تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا اللَّه، فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من بني آدم إلا أثر السجود حرم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار، وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل**»(١).

وكذلك ما ذكر في أحاديث الشفاعة أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن: «نواة» وفي رواية: «شعيرة» وفي رواية: «برة» وفي رواية: «حبة خردل» وفي رواية: «ذرة»(٢).

فهذه الأحاديث كلها التي بلغت حد التواتر أفادت أن أهل المعاصي يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين، فيدخلون الجنة، وقد قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن الإيمان التام المطلق يمنع من دخول النار، والإيمان الناقص يمنع من الخلود فيها» ويشهد لهذا قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فعليك يا عبد اللَّه بهذه العقيدة، فهي عقيدة أهل السنة والجماعة المستندة إلى الأدلة من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، والتي جرى عليها سلفنا الصالح رحمهم اللَّه تعالى، وباللَّه التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) هذه الروايات قد تقدم تخريجها (ص٣٤) سوى رواية البُرَّة والتي وردت في صحيح البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه وفي كتاب التوحيد باب قول اللَّه تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ووردت عند مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها بلفظ: «عن أنس عن النبي ﷺ قال: **يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه، وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وفي قلبه وزن ذرة من خير**» قال أبو عبد اللَّه: قال: أبان حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي ﷺ «من إيمان» مكان «من خير» وأمَّا رواية: «وزن نواة» فلم أجد تخريجها.

□ **السؤال التاسع: كم مراتب المؤمنين وما هي؟**

الجواب: المؤمنون ثلاثة أقسام: -

١- سابقون إلى الخيرات؛ وهم الذين قاموا بالواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات.

٢- ومقتصدون؛ وهم الذين اقتصروا على أداء الواجبات، واجتناب المحرمات.

٣- وظالمون لأنفسهم؛ وهم الذين خلطوا عملًا صالحًا، وآخر سيئًا.

وأقول: إن هذه القسمة؛ هي التي وردت في قول اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢] فهذه قسمة لأهل الاستجابة؛ وهم المسلمون على هذا الترتيب:

أولًا: السابقون إلى الخيرات.

وثانيًا: المقتصدون؛ وهم الذين أدوا الفرائض، وتركوا المحرمات وتقللوا من المستحبات، فالسابقون بالخيرات ينالون الدرجات العلى بعد الرسل في الجنات كما وصف اللّه ﷻ في سورة الواقعة بقوله- جل من قائل-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ ثم ذكر بعدهم أصحاب اليمين؛ وهم المقتصدون فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ إلى آخر ما ذكر في وصفهم، وسكت عن الظالمين لأنفسهم؛ لأنهم على خطر، وهذا هو الحكم الغالب في القرآن وهو أنه يذكر المؤمنين بأحسن أفعالهم، ويذكر الذين دونهم من المقتصدين ويسكت غالبًا عن الظالمين لأنفسهم، وهم أصحاب الكبائر، وتارةً يذكر الذين يجتنبون الكبائر ويذكر ما لهم.

أما الذين يلمّون بالكبائر من عقوق للوالدين، وقطيعة رحم وأخذ للأموال بغير حق، وانتهاك للأعراض، فإنَّ اللّه ﷻ يسوقهم مساق الذم، وقد بينت السنة أن هؤلاء يعذبون بالنار بقدر ذنوبهم، ثم بعد ذلك ينجون من عذاب النار ويخرجون منها؛ حتى لا يبقى فيها أحد ولو كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وقد قسَّم اللّه ﷻ الخليقة إلى ثلاثة أقسام

....

في سورة الواقعة، فجعل أهل الاستجابة قسمين: سابقين وأصحاب يمين، والقسم الثالث أصحاب الشمال؛ الذين يموتون على الكفر من أي نوع كان كفرهم؛ سواء كان كفرهم كفر إلحاد كالذين ينكرون الخالق أو ينكرون البعث، أو كفر خرافة ووثنية كالذين يعبدون مع اللَّه غيره ويعيشون على الشرك الأكبر، أو كفر شك كالمنافقين الاعتقاديين، فهؤلاء كلهم مخلدون في النار، وقد عمّهم بقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١- ٤٤] إلى آخر ما ذكر من عذابهم.

وقد قسَّمهم في آخر السورة إلى هذه الثلاثة الأقسام قسمان: لأمة الاستجابة، والقسم الثالث؛ وهم الكفار بأنواعهم، فقال- جل من قائل-: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٦] فهذه هي الأقسام التي قسَّم اللَّه فيها عباده نسأل اللَّه أن يجعلنا من أهل طاعته وبِرِّه، وأهل الإيمان به.

◻ السؤال العاشر: ما حكم أفعال العباد؟

الجواب: أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق اللَّه، وقضائه، وقدره، ولكنهم هم الفاعلون لها؛ لم يجبرهم اللَّه عليها؛ مع أنها واقعة بمشيئتهم، وقدرتهم، فهي فعلهم حقيقة؛ وهم الموصوفون بها؛ المثابون، والمعاقبون عليها، وهي خلق اللَّه حقيقة، فإنَّ اللَّه خلقهم، وخلق مشيئتهم وقدرِتهم، وجميع ما يقع بذلك.

فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة؛ الدالة على شمول خلق اللَّه، وقدرته لكل شيء من الأعيان، والأوصاف، والأفعال؛ كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة؛ الدالة على أنَّ العباد هم الفاعلون حقيقة للخير والشر، وأنهم مختارون لأفعالهم، فانَّ اللَّه خالق قدرتهم، وإرادتهم، وهما السبب في وجود أفعالهم، وأقوالهم، وخالق السبب التام؛ خالقٌ للمسبب، واللَّه أعظم، وأعدل من أن يجبرهم عليها.

أقول: الخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية؛ كلها منسوبة إلى اللَّه خلقًا، وإيجادًا ومنسوبة إلى العباد فعلًا، واكتسابا، فاللَّه ﷻ هو الذي خلق العباد، وخلق قدرتهم وإرادتهم؛ كما يقول- جل من قائل- على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فأعمال العباد مقدرة من اللَّه؛ قد كتبت في اللوح المحفوظ، وكتب اللَّه السعداء من عباده والأشقياء، والمطيعين والعصاة، والقدر سر من أسرار اللَّه لا يستطيع أحد اكتشافه، وأهل السنة يهابون التعمق فيه؛ تأسيًا بسلفهم الصالح، وفي القرآن إشارات تدل على أن اللَّه ﷻ يخْذُل أقوامًا، فيقدِّر عليهم الشقاوة، ويجعلهم مختارين لها، ولأسبابها كما قال- جل من قائل-: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] وكما يقول- جل من قائل-: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وكما يقول -جل من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فهذه الآيات دالة على أن اللَّه ﷻ يعاقب بعض عباده بسبب إعراضهم عن هداه وابتعادهم عنه، ثم إنَّ اللَّه ﷻ قد أخبرنا بأنه لا يظلم عباده، ولكنَّ العباد أنفسهم

....

يظلمون؛ قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله؛ قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

والقائلون بالقدر قسمان: -

١- القدرية الغلاة: وهم المجبرة؛ الذين يقولون إنَّ اللَّه قدَّر الشقاوة على قوم، وعاقبهم بذلك وهؤلاء نسبوا اللَّه إلى الظلم، فاللَّه ﷻ قد حرّم الظلم على نفسه، وجعله بيننا محرمًا كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظَّالموا**»[1] ومقتضى قول هؤلاء أنَّ اللَّه قدّر الكفر والمعاصي على أقوام، ثم عاقبهم عليها، فيكون عقابه لهم ظلمًا، وهذا أقبح مما فروا منه.

٢- القدرية النفاة: الذين يقولون إنَّ الكفر والمعاصي من أفعال العباد، وليست بتقدير اللَّه ﷻ، فهؤلاء أولًا أثبتوا خَالِقَيْن، فجعلوا الرب خالق الطاعات والإيمان، وجعلوا العبد خالق الكفر والمعاصي، ولهذا شبهوا بالمجوس، وثانيًا أنهَّم إذا أثبتوا أنَّ الكفر لم يكن بقدر اللَّه ﷻ؛ فان مقتضى قولهم أنه قد وقع في الكون غير ما قدره اللَّه ﷻ وأراده، ويلزم من ذلك أنَّ اللَّه مغلوب.

أما أهل السنة والجماعة فهم يقولون: أنَّ الخير والشر، والطاعة والمعصية، والكفر والإيمان كلها بقدر اللَّه ﷻ؛ وهي واقعة من العباد باختيارهم، وإرادتهم؛ فهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان، والمعصية على الطاعة، والضلال على الهدى، وللَّه عليهم الحجة الدامغة وله فيهم الحكمة البالغة؛ هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ وهي العقيدة الحقة التي كان عليها أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

فالخلق كلهم عباد اللَّه؛ ولو عذبهم جميعًا لعذبهم وهو غير ظالم لهم، فالعباد هم الذين فعلوا تلك الأفعال، وعملوا تلك الأعمال مختارين لها، فمن فعل الطاعة أثابه اللَّه، ومن فعل المعصية عاقبه اللَّه إن شاء، وإن شاء عفى عنه، كذلك الإيمان والكفر؛

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغير ذلك من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

....

من مات على الكفر لابد له من العقاب في نار جهنم، وينبغي للمسلم أن يدعو دائمًا لنفسه بالتثبيت، والهداية، ولهذا شرع اللّٰه قراءة الفاتحة وفيها: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٧] شرع قراءتها في كل ركعة؛ ليكون العبد داعيًا للّٰه ﷻ أن يهديه إلى صراطه المستقيم، وأن يعيذه من طرق الضلال، وقد كان النبي ﷺ دائمًا يدعو بهذا الدعاء: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[1] فينبغي أن ندعو به، وأن نستكثر منه، وباللّٰه التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب القدر باب ما جاء أنَّ القلوب بين أصبعي الرحمن وفي كتاب الدعوات باب دعاء يوم عرفة، وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية وفي كتاب الدعاء باب دعاء رسول اللّٰه ﷺ، وأخرجه الإمام أحمد- رحمهم اللّٰه جميعاً- في باقي مسند المكثرين برقم (١١٦٩٧) وبرقم (٩١٣٩)، وقد أشار الألباني رحمه الله إلى صحته في صحيح سنن الترمذي برقم (٢١٤٠) في الباب المذكور سابقًا وكذا في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣٨٣٤) في نفس الباب الذي تقدم ذكره.

□ **السؤال الحادي عشر: ما هو الشرك، وما أقسامه؟**

الجواب: الشرك نوعان:

١- شرك في الربوبية: وهو أن يعتقد العبد أنَّ للَّه شريكًا في خلق بعض المخلوقات، وتدبيرها.

٢- شرك في العبادة؛ وهو قسمان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالشرك الأكبر: أن يصرف العبد نوعًا من أنواع العبادة لغير اللَّه كأن يدعو غير اللَّه؛ أو يرجوه؛ أو يخافه، فهذا مخرجٌ من الدين، وصاحبه مخلَّدٌ في النار.

وأما الشرك الأصغر: فالوسائل، والطرق المفضية إلى الشرك إذا لم تبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير اللَّه والرياء، ونحو ذلك.

أقول: النوع الأول: وهو شرك الربوبية قليل بالنسبة إلى شرك العبادة (شرك الألوهية) فالذين ينكرون اللَّه ويزعمون أن الطبيعة خلقتهم؛ وهم الذين يسمون بالملحدين كما هي العقيدة السائدة في الاتحاد السوفيتي، وما تتبعه في هذا الاعتقاد من بلدان، ودول، وغير ذلك وكذلك عقيدة بعض الصوفية؛ الذين يعتقدون أنَّ هناك جماعة من الأولياء مُدرِّكين على ما يسمونهم، أو مُتصرفين يتصرفون في الكون- سبحان اللَّه العظيم- هذه العقائد أو هؤلاء الناس هم الذين يشركون في الربوبية؛ غير أنَّ الشرك في الربوبية ما كان في الزمن السابق إلا في فئات قليلة.

ومعظم الذين ينكرون وجود اللَّه هم الذين يعتقدون بوجوده في قرارة أنفسهم؛ كما قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] ويلتحق بالشرك في الربوبية الشرك في الأسماء والصفات؛ فإن من أنكر أسماء اللَّه وصفاته؛ التي يثبت العباد له بها الكمالات اللائقة بجلاله ﷻ كالجهمية والمعتزلة، وأمثالهم ويلتحق بأولئك أيضا من يؤولون صفات اللَّه ﷻ؛ وإن كانوا أقل منهم ضررًا فالأشعرية لا يثبتون إلا سبع صفات، والباقي يؤولونها، فهؤلاء يلتحقون فيما عدا السبع الصفات بالجهمية لأنهم سلبوا سائر الصفات معانيها، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

النوع الثاني: الشرك في العبادة: قال المؤلف -رحمه اللَّه تعالى-: «شرك في

العبادة؛ وهو قسمان: شرك أكبر، وشرك أصغر، فالشرك الأكبر: أن يصرف العبد نوعًا من أنواع العبادة لغير اللَّه كأن يدعو غير اللَّه؛ أو يرجوه؛ أو يخافه» أي: خوف العبادة، وكذلك من تقرب إلى المخلوق يزعم أنَّه وليّ، وأنَّ له قدرة على جلب النفع، ودفع الضرر عن العباد، فيريق له الدم، ويذبح له دون اللَّه أو يطوف بمشهده وقبره، ويسأله ما لا يُسأل إلا من اللَّه، وبالجملة، فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه ﷻ؛ فهو قد أشرك باللَّه ﷻ، وأعطاه ما لا يستحق، واستحق بذلك الخروج من الإسلام، وحُكم عليه بأنه إن مات على تلك الحالة كان مخلدًا في النار إلا أنَّ هناك بعض أنواع الخوف تنقسم إلى قسمين: خوف طبيعي، وخوف عبادة فمن زعم أنَّ الولي الفلاني يعلم من تكلم فيه، وينتقم منه، فلذلك يخافه؛ فإنه في هذه الحالة يعتبر مشركًا شركًا أكبر مخرجًا من الإسلام؛ أمَّا الخوف الطبيعي؛ كأن يخاف الإنسان من عدوٍّ أن يضربه أو يقتله أو يخاف من الأسد أو الذئب أو الحية؛ كلُّ هذا خوفٌ طبيعي؛ وهو مباحٌ إلَّا أنَّ الإفراط فيه لا ينبغي، وينبغي للمسلم أن يستعين باللَّه من الجبن، وما جرى مجراه.

أما الشرك الأصغر فيقول الشيخ: «فالوسائل، والطرق المفضية إلى الشرك إذا لم تبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير اللَّه، والرياء، ونحو ذلك».

وأقول: إنَّ الشرك الأصغر يكون منه الرياء العارض في العمل؛ أما الباعث على العمل؛ فإنه من شرك المنافقين، وهو من الشرك الأكبر قال اللَّه ﷻ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] فالذي لا يقوم للصلاة إلا خوفًا من الناس، وإذا خلا، ولم يطّلع عليه أحد إلا اللَّه، فإنَّه لا يصلي، فهذا الرياء هو الباعث على العمل، وهو شرك أكبر مخرج من الملة.

وتبيّن لنا أن الرياء ينقسم إلى قسمين:

النوع الأول: رياء باعث على العمل.

النوع الثاني: رياء عارض في العمل.

فالرياء الباعث على العمل؛ هو الذي سبق لنا أن مثلنا له.

أما الرياء العارض في العمل؛ فهو أن يكون بنيّة العبادة في القيام بهذا العمل للَّه؛ لكن حينما رأى رجلًا ينظر إليه زيّن صلاته من أجل ذلك الرجل، فهذا عارض في العمل، كذلك أيضًا إذا قام الرجل بكلمة أو محاضرة، وحدثته نفسه بتحسينها،

....

وتنميقها؛ ليُثنى عليه، ويقال إنَّه عالم أو ما أشبه ذلك، فهذا من العارض في العمل؛ وهو من الشرك الأصغر، وقد يؤدي إلى إحباط العمل أو ينقص ثوابه.

ومن الشرك الأصغر شرك الإسناد: بأن تسنّد النعم إلى غير واهبها وهو اللّه، فيقول: لولا الكلب لأتانا اللصوص؛ لولا فلان لحصل كذا، فينبغي أن يقال لولا اللّه ثم فلان لكان كيْت وكيْت، ولا يجوز أن يقول لولا فلان لكان كذا وكذا، لأنَّ هذا يعد من الوسائل المفضية إلى الشرك؛ نسأل اللّه العافية، وأن يُطهر أعمالنا من الرياء، والسمعة، وأن يوفقنا للإخلاص في كل ما نأتي، ونذر، وأن يجنبنا كل ما يقدح في الأعمال وباللّه التوفيق.

□ **السؤال الثاني عشر: ما صفة الإيمان بالله على وجه التفصيل ؟**

الجواب: إننا نقر، ونعترف بقلوبنا، وألسنتنا أنَّ اللَّه واجب الوجود، واحد أحد؛ فرد صمد منفرد بكل كمال، وعظمة، وكبرياء، وجلال.

وأنَّ له غاية الكمال؛ الذي لايقدر الخلائق أن يحيطوا بشيءٍ من صفاته.

وأنَّه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء، وأنَّه الأعلى علوَّ الذات، وعلوَّ القدر، وعلوَّ القهر، وأنَّه العليم بكل شيء، القدير على كل شيء، السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنُّن الحاجات؛ البصير بكل شيء، الحكيم في خلقه وشرعه، الحميد في أوصافه وأفعاله، المجيد في عظمته وكبريائه؛ الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمَّ بجوده، وبره، ومواهبه كل موجود؛ المالك الملك لجميع الممالك، فله تعالى صفة الملك، والعالم العلوي والسلفي كلهم مماليك، وعبيد للَّه، وله التصرف المطلق.

وهو الحي الذي له الحياة الكاملة المتضمنة لجميع أوصافه الذاتية؛ القيوم الذي قام بنفسه وبغيره؛ وهو متصفٌ لجميع صفات الأفعال؛ فهو الفعَّال لما يريد، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ونشهد أنَّه ربنا الخالق البارئ المصور؛ الذي أوجد الكائنات، وأتقن صنعها، وأحسن نظامها، وأنَّه اللَّه الذي لا إله إلَّا هو الإله المعبود؛ الذي لا يستحق العبادة أحدٌ سواه، فلا نخضع، ولا نذل، ولا ننيب، ولا نتوجه إلَّا للَّه الواحد القهَّار؛ العزيز الغفَّار، فإياه نعبد، وإيَّاه نستعين، وله نرجو، ونخشى، نرجو رحمته ونخشى عدله، وعذابه؛ لا ربَّ لنا غيره، فنسأله، وندعوه؛ ولا إله لنا سواه نؤمِّله، ونرجوه هو مولانا في إصلاح ديننا ودنيانا؛ وهو نعم النَّصير الدافع عنَّا جميع السوء، والمكاره.

قوله: «إننا نقر، ونعترف بقلوبنا، وألسنتنا»؛ أي: إقرارًا واعترافًا تتوافق عليه القلوب والألسن، القلوب بالتصديق له، والإيمان به، والألسن بالنطق بذلك.

قوله: «أنَّ اللَّه واجب الوجود»، أي: بأنَّه هو الإله الحق، وأنَّ وجوده هو الوجود

....

الحق لأنَّه لا رب لهذه الموجودات سواه.

قوله: «واحد أحد» هذا فيه الإقرار بوحدانية اللَّه؛ الذي تضمنته سورة الإخلاص.

قوله: «فرد صمد» إذا قلنا فرد، فالمراد أنَّه فرد في أوصافه؛ وهو الموصوف بأوصاف الكمال التي لا يشاركه فيها أحد، أما الصمد فإنَّه يطلق ويراد به أنَّه المقصود في الحوائج، ويطلق ويراد به أنَّه صمد ليس بأجوف، فشكل الإنس، والجن، وسائر المخلوقات الأرضية أنَّ كل مخلوق منها أجوف يحتاج إلى الرزق، ويحيا عليه، أما اللَّه ﷻ فهو صمد؛ بمعنى أنه ليس بأجوف ومعنى أنَّه مقصود بالحوائج إلى غير ذلك من المعاني التي تفيد الكمال.

قوله: «متفرد بكل كمال، وعظمة، وكبرياء، وجلال»؛ أي: أنَّه منفرد بالكمالات المطلقة فإن وصفناه بالعلم فنحن نصفه بكمال العلم الكامل المطلق فيه؛ الذي لا يفوته معلوم، وإن وصفناه بالقدرة، فنحن نصفه بكمال القدرة التي لا يعجزها شيء، وهكذا قوله: «وأنَّ له غاية الكمال الذي لا يقدر الخلائق أن يحيطوا بشيء من صفاته».

قوله: «أنه الأول الذي ليس قبله شيء» يجب أن نؤمن بأوَّليته كما وصف نفسه بذلك ووصفه به رسوله فقال: «**أنت الأول الذي ليس قبلك شيء، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر الذي ليس فوقك شيء، وأنت الباطن الذي ليس دونك شيء**»[1] هذا غاية ما يقدر العباد أن يصفوه، ثم ليس لهم شأن فيما سوى ذلك، ولا قدرة عليه؛ لأنَّه لا يعلم أحد شيئًا عن أوليته، كما أخبرنا رسول اللَّه ﷺ، وأخبرنا هو نفسه- جل وعلا- ببقائه إذا فني كل شيء؛ كما يقول- جل من قائل-: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وكما يقول- جل من قائل-: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] فجميع الخليقة تفنى، إلَّا هو سبحانه حين يطوي السموات بيمينه ويطوى الأرضين بشماله، وكلتا يدي ربي يمين، ثم يهزهن ثم يقول: «**أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟**»[2].

وفي رواية: «**لمن الملك اليوم لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه للَّه**

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في أول كتاب صفة القيامة من حديث عبد اللَّه بن عمر ﷺ.

....

الواحد القهار»[(١)].

قوله: «وأنَّه العلي الأعلى علوَّ الذات، وعلو القدر، وعلو القهر» فهو عالٍ بذاته على العرش، وهو مطّلع على جميع خلقه؛ محيط بكل ما يصدر منهم.

ثم سائر الأوصاف مُفَسَّره بما فسرها به مؤلف هذه العقيدة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد فسر جميع هذه الصفات، فاسم العليم يتضمن صفه العلم، واسم القدير الذي يتضمن صفه القدرة، واسم السميع الذي يتضمن صفة السمع، واسم البصير الذي يتضمن صفة البصر، واسم الحكيم الذي يتضمن صفة الحكمة في خلقه وشرعه، واسم المجيد الذي يتضمن صفة العظمة والكبرياء، واسم الرحمن الرحيم الذي يتضمن صفة الرحمة، وهكذا الصفات الذاتية، القيوم الذي قام بنفسه وبغيره، فكل شيء محتاج إليه وهو لا يحتاج إلى أحد وأنه متصف بجميع صفات الأفعال؛ فهو الفعال لما يريد، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

قوله: «ونشهد أنَّه ربنا الخالق البارئ المصور؛ الذي أوجد الكائنات، وأتقن صنعها وأحسن نظامها»؛ أي: نشهد بأنَّه سبحانه هو الذي خلقنا، وبرأنا، وصوَّرنا، وخلق جميع الكائنات؛ أوجدها، وأتقن صنعها، وأحسن نظامها؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] وكما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وكما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨] رفع السموات، وزيَّن السماء الدنيا بالمصابيح التي زينتها، وأجرى الشمس، والقمر والكواكب في أفلاكها، وخلق الأرض فمهدها للجن والإنس، وسائر المخلوقات، فكل شيءٍ خلقه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فأتقنه وسواه كما دلت على ذلك الآيات التي ذكرت عامَّها وخاصَّها.

قوله: «وأنَّه اللَّه الذي لا إله إلا هو الإله المعبود؛ الذي لا يستحق العبادة أحد سواه فلا نخضع» المراد بذلك خضوع العبادة؛ أمَّا الخضوع الذي ينبني على القهر، والخوف الطبيعي ممن لاتستطيع مقاومته فهذا لايكون من العبادة كما سبق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام إسحاق بن راهويه في مسنده في (ج١ / ٨٤) برقم الحديث (١٠) وفي الأحاديث الطوال لسليمان بن أحمد الطبراني في (ج١ / ٢٦٦) برقم الحديث (٣٦) وفي فتح الباري في (ج١١ / ٣٧٠) باب نفخ الصور.

....

قوله: «ولا ننيب» الإنابة هي الرجوع -أي: لا نرجع-، ولا نتوجه إلَّا إليه، فهو الإله الحق.

قوله: «الواحد القهار؛ العزيز الغفار، فإياه نعبد، وإياه نستعين، وله نرجو ونخشى، نرجو رحمته، ونخشى عدله وعذابه»؛ أي: أنّ المسلم يعيش بين هذين الأمرين الخوف من عدله ﷻ، وذلك بأن يخشى أن يعاقبه بذنوبه كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] وقال سبحانه: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

فهو سبحانه رحيمٌ بعباده؛ حليمٌ عنهم، ولكن مع عصيانهم يعاقبهم ببعض العقوبات؛ التي تجتاح أو تكاد أن تجتاح خلقًا كثيرًا؛ فهو إن عاقبهم فهو بذنوبهم، وإن عفا عنهم، ورحمهم فبفضله أن يجعلنا ممن يعرفه حق معرفته، ويعبده حقَّ عبادته؛ نعوذ به من أمن مكره ﷻ، ولهذا قال: «لا رب لنا غيره فنسأله وندعوه، ولا إله لنا سواه نأمِّله ونرجوه، هو مولانا في إصلاح ديننا ودنيانا وهو نعم النصير الدافع عنا جميع السوء والمكاره». وباللَّه التوفيق.

□ السؤال الثالث عشر: ما صفة الإيمان بالأنبياء على وجه التفصيل؟

الجواب: علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل؛ الذين ثبتت نبوتهم، ورسالتهم على وجه الإجمال والتفصيل.

أقول: معنى هذا الجواب أنه يجب علينا أن نعتقد نبوة الأنبياء، ورسالة الرسل؛ الذين بلغنا علمهم عن الله ﷻ؛ الذين سُمّوا يجب علينا أن نؤمن بهم، وبأسمائهم، ونعرف مقاماتهم فأولوا العزم الخمسة، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ نؤمن بأنَّهم أفضل الرسل، وأفضلهم الخليلان؛ إبراهيم، ومحمدًا - صلوات اللّه وسلامه عليهما-.

ونعتقد أنَّ الرسل الذين ذكروا كـ: هود، وصالح، وشعيب، ولوط، وأيوب، وإدريس وغيرهم ممن ذكر كيحيى، وزكريا، وإسماعيل، واسحق، ويعقوب؛ كلهم رسل بلغوا عن اللّه رسالاته، ونؤمن بمن لم يذكر على الإجمال.

وقد جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه: «قلت: يا رسول اللّه كم وفى عدة الأنبياء ؟ قال: **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا؛ الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**»[1] وفي لفظ لابن حبان في صحيحه: «قلت يا رسول اللّه كم الأنبياء ؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**». قلت: يا رسول اللّه: كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاث مائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا**».

فنحن نؤمن بأن هناك رسلًا لم تقصَّ قصصهم، ورسلًا قد قصت قصصهم؛ نؤمن بهؤلاء، وهؤلاء، من عينوا نؤمن بهم على التعيين ومن لم يعينوا نؤمن بأن للّه رسلًا، واللّه قد قال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] نعتقد بأن اللّه قد خصَّهم بتوجيهه، وبرسالاته: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ

---

(١) رواية الإمام أحمد في مسنده أخرجها في (ج٥ / ٢٦٥) برقم الحديث (٢٢٣٤٢) ورواية ابن حبان في صحيحه في (ج٢ / ٧٦) برقم (٣٦١) كتاب البر والإحسان باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خيرٍ حظ وبنحوه عند الحاكم في مستدركه في (ج٢ / ٢٨٨) برقم الحديث (٣٠٣٩) وفي مسند الشاميين في (ج٤ / ١٠٥) برقم (٢٨٦١) والطبراني في المعجم الكبير في (ج٨ / ١١٨) برقم (٧٥٤٥ و٧٨٧١) وفي الأوسط في (ج١ / ١٢٨) باب من يعرف بالكنى وغير ذلك برقم (٤٠٣).

....

إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧] وأن اللَّه جعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه وشرعه، وأيدهم بالآيات الدالة على صدقهم وصحة ما جاؤوا به، فإبراهيم جعل اللَّه عليه النار بردًا وسلامًا، وموسى جعل اللَّه له العصى واليد، وصالح جعل اللَّه له الناقة، وعيسى كان يحيي الموتى بإذن اللَّه، وينفخ في صورة الطير، فيصبح طيرًا بإذن اللَّه، ولم نعلم عن البعض الآخر إلا إنه يجب أن نعتقد أنَّ كل رسول قد أعطاه اللَّه معجزة تدل على صدقه، وأنَّ الرسل أكمل الخلق علمًا، وعملًا، وأصدقهم ألسنة، وأبرَّهم قلوبًا، وأكملهم أخلاقًا، وأن اللَّه خصّهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وبرأهم من كل خلق رذيل، وأنهم معصومون في كل ما يبلغونه عن اللَّه، وهل العصمة تكون للأنبياء من صغرهم أم أنَّ العصمة تكون لهم بعد إرسالهم؟ أما ما يبلغونه عن اللَّه فهم معصومون فيه ولا شك.

ونؤمن بأنه لا يستقر في خبرهم، وتبليغهم إلا الحق والصواب، وقد أخبر اللَّه ﷻ نبيه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٣] والتمني هو التلاوة فإن استطاع الشيطان أن يلقي في سمع المبلغين شيئًا محاه اللَّه ﷻ وأخرجه، وأثبت الصدق.

وأنه يجب الإيمان بهم كلهم، وبكل ما أتوا به من اللَّه، ومحبتهم، وتوقيرهم، وتعظيمهم.

ونؤمن بأن هذه الأمور واجبة علينا لنبينا محمد ﷺ على أكمل الوجوه وأعلاها، فإذا كان يجب علينا محبة الرسل جميعًا، فإن الواجب علينا محبته -صلوات اللَّه وسلامه عليه- أعظم من كل أحد، وقد قال عمر رضي الله عنه: «يا رسول اللَّه لأنت أحب إليّ من كلِّ شيء إلَّا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**». فقال عمر: فإنَّه الآن واللَّه لأنت أحبَّ إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(١).

وأنه يجب معرفته -صلوات اللَّه وسلامه عليه- ومعرفة ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلًا بحسب الاستطاعة، والإيمان بذلك، والتزامه، والتزام طاعته في كل شيء

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ.

....

بتصديق خبره، وامتثال أمره، واجتناب نهيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] وقال- جل من قائل-: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ونؤمن بأنه خاتم النبيين لا نبي بعده قد نسخت شريعته كل الشرائع وهي باقية إلى قيام الساعة، ولا يتم الإيمان به حتى يعلم العبد أن جميع ما جاء به حق قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨] وأنه يستحيل أن يقوم دليل عقلي أو حسي أو غيرهما على خلاف ما جاء به الشرع؛ وهي السنة الصحيحة.

والأمور الحسية الواقعة تشهد للرسول بالصدق والحق؛ بل أنَّ في الشرع نفسه أخبارٌ تشهد بصدق الرسول وأنَّ الحق فيما جاء به، فمن ذلك إخباره عن الفتوح(١) وإخباره عن الخوارج؛ الذين يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم(٢) وإخباره عن النار التي تخرج من الحجاز تضيءُ لها أعناق الإبل ببصرى(٣) وقد خرجت تلك النار في ضواحي

(١) كالإخبار بفتح القسطنطينية الذي ورد في صحيح الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة صحيح مسلم باب في فتح قسطنطينية وغيرها من الفتوحات كما في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما يكون من فتوحات.

(٢) كما في صحيح الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ومن يخاف على إيمانه وفي كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، وما جاء في صحيح الإمام البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.
وفي سنن الإمام ابن ماجه في المقدمة باب ذكر الخوارج وغير ذلك مما ورد في السنة عن الخوارج.

(٣) كما في صحيح الإمام البخاري في كتاب الفتن باب خروج النار، وكما في صحيح الإمام مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

المدينة عام (٦٥٦ هـ) وإخباره بأنَّ أمته ستتبع سُنن من كان قبلها[١] وإخباره عن تقارب الزمان[٢] بالسير الذي حصل في زمننا هذا، وأصبح مشاهدًا بقوله: «**لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السَّعفة**»[٣] إلى غير ذلك من الأخبار التي أخبر فيها ﷺ عن المغيبات، ووقعت كما قال، ومن قال خلاف ذلك فهو الكاذب المبطل الضليل، فهو من جنس من قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وما أعظم تعاليمه ﷺ، والعبادات التي علمها أمته؛ إنها هي الحق الأبلج، والنور الناصع والطريقة المستقيمة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وبالله التوفيق.

---

(١) كما في صحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم» وكما في صحيح مسلم في كتاب العلم باب الألد الخصم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) مثل التخريج السابق.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده في (ج٢ / ٥٣٧ - ٥٣٨) ورواه الترمذي عن أنس في أبواب الزهد باب ما جاء في تقارب الزمن وقصر الأمل قال ابن كثير: «إسناده على شرط مسلم» انظر النهاية الفتن والملاحم (١ / ١٨١) تحقيق د. طه زيني. قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» انظر مجمع الزوائد (ج٧ / ٢٣١) وقال الألباني صحيح الجامع الصغير (٦ / ١٧٥) برقم الحديث ٧٢٩٩.

□ **السؤال الرابع عشر: كم مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، وما هي ؟**

الجواب: مراتب ذلك أربعه ؛ لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتكميلها :

أولا: الإيمان بأنَّ اللَّه بكل شيء عليم، وأن علمه محيط بالحوادث دقيقها، وجليلها.

ثانيا: وأنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

ثالثا: وأن جميعها واقعة بمشيئته وقدرته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

رابعًا: وأنه مع ذلك مكَّن العباد من أفعالهم، فيفعلونها اختيارًا منهم بمشيئتهم وقدرتهم. كما قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾
[التكوير: ٢٨ - ٢٩]

أقول: دليل شمول العلم ؛ أي: علم اللَّه ﷻ لكل الحوادث دقيقها، وجليلها ؛ متقدمها ومتأخرها ؛ يعلم ذلك على التفصيل، فكل حادثة يعلم متى وقوعها، وأين وقوعها في أي مكان من الأرض، وفي أي وقت من الزمن ؛ قد علم كل واحد منا بل كل واحد من الناس إلى نهاية الخليقة اليوم الذي يولد فيه، والشهر، والعام، والمكان الذي يولد فيه، وكذلك الأعمال التي سيعملها، وعلم في أي زمن ينشأ، وفي أي بلد يوجد أو يولد، وعلم يوم منية كل واحد منا وهل يموت بالقتل أو المرض أو الموت الطبيعي أو حرقًا بنار أو غرقًا في ماء أو تحت الهدم أو غير ذلك، كل ذلك قد علمه اللَّه ؛ وهو شامل أي علم اللَّه كل ما يقع في الكون من الحوادث علمها قبل أن تقع، وقدَّرها، وكتبها، والأدلة على ذلك من كتاب اللَّه لا تحصر ؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

المرتبة الثانية: أنه كتب ذلك العلم، وتلك المقادير في اللوح المحفوظ ؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وجاء في الحديث: «**إنَّ أول ما خلق اللَّه القلم فقال له: اكتب فقال: رب وماذا أكتب ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» وفي رواية لأحمد: «**إنَّ أول ما خلق اللَّه تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك**

الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»[1] فالقلم كتب المقادير بأمر من اللَّه ﷻ.

ثالثًا: وأنَّ جميعها واقعة بمشيئته، وقدرته؛ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ أي أنَّ جميع الحوادث واقعة بمشيئته، وقدرته؛ لا يقع في هذا الكون شيء بغير إرادة اللَّه؛ لأنَّه لو وقع ذلك للزم منه أن يكون مغلوبًا على أمره، واللَّه غالب، وليس مغلوبًا، وقاهر، وليس بمقهور، فهو الذي خلق العباد، وخلق أفعالهم؛ قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٨].

رابعًا: أنَّه أخرج تلك المقادير إلى التنفيذ بحيث مكَّن العباد أن يفعلوها، وأراد منهم قدرًا أن يفعلوها على حسب ما قدِّر، وذلك هو المعبَّر عنه بالتقدير اليومي؛ لأنَّ المقادير أولًا: القدر العام الذي يكون في اللوح المحفوظ. ثانيًا: القدر العمري؛ الذي يكتب عند تكوين الجنين وهو منقول من القدر العام. ثالثًا: القدر الحولي؛ وهو يكون في ليلة القدر من كل سنة. رابعًا: القدر اليومي؛ وهو إخراج تلك المقادير إلى التنفيذ؛ قدَّر اللَّه ﷻ أن تأكل اليوم كذا، وأن تمشي إلى مكان كذا، وهكذا حتى يكون النهاية بتقدير الموت عليك؛ سواءً كان موتًا طبيعيًّا أو بحادثٍ أو غير ذلك، وقد جاء في الحديث كما سبق ذكره «**إنَّ أول ما خلق اللَّه تعالى القلم فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**» وورد أنَّ الكرام الكاتبين يكتبون أعمال العباد: «**فإذا عرجوا إلى السماء يعرضونها على ما كتب في اللوح المحفوظ فيجدونها مطابقةً كذلك ليس فيها اختلاف أبدا**» وباللَّه التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه في كتاب السنة باب في القدر كلها من حديث عبادة رضي الله عنه وقد أشار إلى صحته الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح (ج١ / ٣٤) برقم الحديث (٩٤) وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين في (ج١ / ٥٧ برقم ٥٨) وفي (ج٣ / ١٣٨) برقم (١٩٤٩) والبيهقي في السنن الكبرى في (ج١٠ / ٢٠٤) برقم الحديث (٢٠٦٦٤) ورواية الإمام أحمد رحمه الله وردت في باقي مسند الأنصار بهذا اللفظ برقم (٢٢١٩٧) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أيضاً وقد صححها الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب السنة للحافظ أبي بكرعمرو بن أبي عاصم الشيباني برقم الحديث (١٠٤ ج١ / ٤٨) وأخرجها الإمام الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء، وكذا أخرجها في كتاب تفسير القرآن باب سورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾.

□ السؤال الخامس عشر: ما حد الإيمان باليوم الآخر، وما الذي يدخل فيه؟

الجواب: كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه داخل في الإيمان باليوم الآخر كأحوال القبر، والبرزخ، ونعيمه، وعذابه، وأحوال يوم القيامة، وما فيها من الحساب، والثواب، والعقاب والصحف، والميزان، والشفاعة، وأحوال الجنة، والنار، وصفاتهما، وصفات أهلهما، وما أعدّ اللَّه فيهما لأهلهما إجمالًا، وتفصيلًا؛ كل ذلك من الإيمان باليوم الآخر.

وأقول: تعريف الإيمان باليوم الآخر قد بيّنه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «بأنه كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فإنه داخل في الإيمان باليوم الآخر».

قوله: «كأحوال القبر» فالإيمان بمنكر ونكير وسؤالهما، وإجابة المؤمن الصالح، والكافر الفاجر، وما يترتب على كل منهما من نعيم للصالح وعذاب للكافر الفاجر كما ورد في الكتاب والسنة.

قوله: «والبرزخ، ونعيمه، وعذابه» أقول: البرزخ هو الفاصل بين شيئين، ومدة بقاء العباد في القبور هذه حالة برزخية تفصل بين الحياتين الحياة الدنيا والحياة الأخروية، والحال فيها لكل عبد بحسبه، فالأنبياء والمرسلين أحوالهم في البرزخ غير أحوال سائر الناس، فقد أخبر النبي ﷺ أنه لقي بعض الرسل ليلة أسري به على درجاتهم في السموات، وفي الرؤيا التي رآها، ورواها البخاري عن سمرة بن جندب، وذكر فيها ما ذكر من عذاب العصاة كمن ينام عن الصلاة، فيرضخ رأسه بالحجارة، ومن يكذب الكذبة يتحدث بها في الآفاق يشرشر بها شِدْقُه، وإن الزناة في مكانٍ ضيق فيه نار مثل التنور، وآكل الربا يسبح في نهر من دم، وأنه مرّ على إبراهيم الخليل -صلواتِ اللَّه وسلامه عليه-، ووجد عنده أطفال المسلمين؛ الذين يموتون دون الحلم، وغير ذلك.

قوله: «وأحوال يوم القيامة. . .» الخ أحوال يوم القيامة كما أخبر اللَّه عن ذلك من تزلزل الأرض، واشتعال البحار نارًا ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣] وبس الجبال، ونسفها وتبدل الأرض غير الأرض، وطي السموات و الأرضين، وأنَّ اللَّه ﷻ يأخذ كلًّا منها بعد طيها، ويهزها ويقول: «أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوي

الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون».

ونفخ إسرافيل في الصور لموت الأحياء بعد نفخ الفزع، وبعد هاتين النفختين نفخ القيام من القبور، وانشقاق الأرض عمَّن فيها، كل هذا من الأحوال التي تسبق القيامة، ثم بعد ذلك يقوم الناس من قبورهم، ويحشرون إلى ربهم؛ يسمعون الداعي فيتبعونه ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦ - ٨] وأنهم يقفون فيه وقوفًا طويلًا؛ تدنو منهم الشمس، ويعلوهم العرق حتى يلجم أحدهم إلجامًا، وأنَّ المؤمنين بعد طول القيام يمشي بعضهم في بعض، ويطلبون الشفاعة في فصل القضاء إلى آدم ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فإذا وصلت إلى النبي ﷺ قال: «**أنا لها**».

وما يتلو ذلك من الحساب، وتطاير الصحف وكل يأخذ كتابه إما بيمينه، وإما بشماله من وراء ظهره.

وأنَّ الأعمال توزن، وأنَّ المؤمنين يؤتون نورًا، وفيهم المنافقين، ثم ينطفئ نور المنافقين، وهذا من أول العقاب الأخروي، وينجو المؤمنين، وهذا أول الثواب الأخروي، ويمر المؤمنون على الصراط المستقيم، ويساق الكافرون سوقًا، فهم يوزعون -والعياذ بالله- بحيث يحبس أولهم على أخرهم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

وأنَّ الشفاعة كائنة بعد ذلك وما يحصل لأهل الجنة في الجنة من الثواب، وأنواعه وما يحصل لأهل النار في النار من العقاب وأصنافه، وما أعدّ الله لأهل كل دار فيها؛ نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المؤمنين المثابين الذين يدخلون الجنة بسلام، ويقال لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، ونعوذ بربنا من حال أهل الريب والنفاق والشقاق، وما يلاقونه في آخرتهم من العذاب الشاق: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبإ: ٣٠] وبالله التوفيق.

□ السؤال السادس عشر: ما هو النفاق، وأقسامه، وصفته ؟

الجواب: حدُ النفاق هو إظهار الخير، وإبطان الشر.

وهو قسمان:

١- نفاق أكبر اعتقادي مخلدٌ صاحبه في النار، وذلك مثل ما أخبر اللَّه به عن المنافقين في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] أي من المبطنين للكفر؛ المظهرين للإسلام.

٢- نفاق أصغر عملي؛ مثلما ذكره النبي ﷺ في قوله: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» فالكفر الأكبر، والنفاق الأكبر لا ينفع معهما إيمان ولا عمل، أما الأصغر منهما فقد يجتمع مع الإيمان، فيكون في العبد خير وشر، وأسباب ثواب وأسباب عقاب.

وأقول: النفاق مأخوذ من النَّفَق، وهو الحفر في الأرض.

وحده الشرعي: إظهار الإسلام، وإبطان الكفر.

وعلى العموم إظهار الخير، وإبطان الشر، وذلك أن النبي ﷺ حين قدم المدينة كان من شاء أسلم، وتابعه، ومن شاء بقي على دينه، وكان النبي ﷺ يدعو الناس، فمنهم من يدخل في الإسلام مختارًا، ومنهم من يبقى على ما هو عليه، فلما وقعت موقعة بدر، وعز الإسلام وأهله؛ عند ذلك قال المنافقون: إنَّ هذا الأمر قد توجه فتعالوا نظهر لهم الإسلام، ونبطن ما نحن عليه، فأظهروا الإسلام؛ أي أظهره أقوام برئاسة عبد اللَّه بن أبي، وأبطنوا في أنفسهم الكفر، والتكذيب للنبي ﷺ وللإسلام.

فكان هؤلاء المنافقون مختفين في المجتمع المسلم، ثم إنَّ اللَّه ﷻ لما أنزل سورة التوبة ما زال يقول: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]. إلى غير ذلك من الآيات؛ حتى أظهر اللَّه كثيرًا من صفاتهم، وكانت صفاتهم تبدوا حينًا بعد حين؛ مثلما حصل في موقعة بني المصطلق التي قال فيها عبد اللَّه بن أبي ما قال حيث قال: «ما مثلنا ومثل هؤلاء الجلابيب من قريش إلا كما قال الأول سمّن كلبك يأكلك؛ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فسمعه زيد بن أرقم وهو غلام فجاء إلى النبي ﷺ، وأخبره، فأرسل النبي ﷺ إلى عبد اللَّه بن أبي يسأله عن مقالته

....

هذه، فأنكر، وحلف أنَّه لم يقل ذلك، فلام الأنصار زيد بن أرقم، فأنزل اللَّه سورة المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾السورة بأكملها، فأخذ النبي ﷺ بأذن زيد بن أرقم، وقال: «**وفَّت أذنك، وفَّت أذنك يا غلام**» وفي رواية: «**إنَّ اللَّه قد صدقك يا زيد**»، وفي مرسل الحسن، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بأذن الغلام فقال: «**وفَّت أذنك يا غلام مرتين**»[(١)].

والنفاق الاعتقادي: بأن يقول الإنسان بأنه مسلم ويشهد شهادة الإسلام، ويصلي مع الناس، فإذا خلا ترك الصلاة، وقد وصف اللَّه المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هؤلاء مخلدين في نار جهنم؛ بل هم في الدرك الأسفل كما أخبر اللَّه.

أما النفاق الأصغر: وهو النفاق العملي، فهو إظهار شيء، وإبطان خلافه، فالكاذب يزعم أنه صادق، وهو كاذب في باطن الأمر، والذي يعِد، ويخلف يزعم أنه صادق في وعده وهو بخلاف ذلك، وإذا اؤتمن خان لأنه يظهر للناس أنه أمين؛ وهو في الحقيقة خائن، ولهذا قال النبي ﷺ: «**آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»[(٢)] متفق عليه، وفي رواية: «**وإذا عاهد غدر**» وفي رواية: «**وإذا خاصم فجر**»[(٣)] فهذه الخصال لاتخرج من الإسلام؛ بل يبقى صاحبها مسلم منافق نفاقًا عمليًّا، وصاحبها تحت المشيئة كأصحاب الكبائر، وهذا النفاق يسمى النفاق الأصغر أو النفاق العملي، وكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات الذميمة فيكون الواحد منهم فيه أسباب ثواب، وأسباب عقاب؛ وهو تحت المشيئة؛ كما قلنا كأصحاب الكبائر، وباللَّه التوفيق.

---

(١) الرواية الأولى انظر إليها في تفسير ابن جرير الطبري في سورة المنافقون في (ج٢٨ / ١١٤) الرواية الثانية انظر إليها في فتح الباري شرح صحيح البخاري في (ج٨ / ٦٤٦) عند باب قول اللَّه تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب علامة المنافق، وفي كتاب الشهادات باب من أمر بإنجاز الوعد، وفي كتاب الوصايا باب قول اللَّه تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وفي كتاب التفسير سورة براءة باب قول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وأخرج الحديث مسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الروايتين أخرجها البخاري في كتاب الإيمان باب علامة المنافق، وفي كتاب المظالم باب إذا خاصم فجر، وفي كتاب الجهاد والسير باب إثم من عاهد ثمَّ غدر.

□ **السؤال السابع عشر: ما هي البدعة، وما أقسامها ؟**

الجواب: البدعة هي خلاف السنة ؛ وهي نوعان :

النوع الأول : بدعة اعتقاد ؛ وهي اعتقاد خلاف ما أخبر اللَّه به ورسوله ﷺ ؛ وهي المذكورة في قوله «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا ما هي يا رسول اللَّه ؟ قال : «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[1] ومن كان على هذا الوصف ؛ فهو صاحب سنة محضة ، ومن كان من بقية الفرق ؛ فهو مبتدع ، وكل بدعة ضلالة ، وتتفاوت البدع بحسب بعدها عن السنة .

والنوع الثاني : بدعة عملية ؛ وهي التعبد بغير ما شرع اللَّه ورسوله أو تحريم ما أحل اللَّه ورسوله ، فمن تعبَّد بغير الشرع أو حرّم ما لم يحرمه الشارع ؛ فهو مبتدع .

وأقول: البدعة في اللغة: خلاف السنة . واصطلاحًا أو شرعًا : هي كل اعتقاد أو عمل لم يكن مشروعًا من قبل المشرّع ﷺ، وقد قسم المؤلف البدع إلى قسمين :

١- بدعة اعتقادية . ٢- بدعة عملية .

والبدعة الاعتقادية أشد من البدعة العملية كـ: الجهمية في تعطيل الأسماء والصفات، وبدعة المعتزلة أيضًا في هذا، وفي القدر، وبدعة المعتزلة في اعتقادهم أنَّ القرآن مخلوق، وبدعتهم أيضًا في عدم رؤية اللَّه في الآخرة، وبدعة المرجئة؛ الذين يزعمون أنَّ صاحب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وبدعة الرافضة أو الشيعة؛ الذين يعطون أهل البيت أكثر مما أعطاهم اللَّه ﷻ ويتركون سائر الصحابة، وبدعة الأشعرية؛

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنَّة باب شرح السنَّة وقال عنه الألباني حديثٌ حسنٌ صحيح وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في كتاب مسند الشاميين باب حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب السِّير باب في افتراق هذه الأمة وكل هذه الروايات مروية عن الصحابي الجليل معاوية ابن أبي سفيان، وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم.
وذكر الألباني بأنَّ هذا الحديث صحيح انظر صحيح ابن ماجه وأخرجه الإمام أحمد كذلك في مسنده في كتاب مسند المكثرين عن الصحابي الجليل أنس بن مالكٍ ﷺ وكلُّ هذه الروايات وردت فيها بلفظ **(الجماعة)** أمَّا الروايات التي وردت بلفظ: **«ما أنا عليه وأصحابي»** فقد وردت عن الصحابي الجليل عبد اللَّه بن عمر ﷺ في المستدرك على الصحيح للإمام الحاكم رحمه الله في كتاب العلم رقم الحديث (٨١٢٧ ج١/ ٢١٨) طبعة دار الكتب العلمية طبعة (١٤١١)؛ وأخرجه كذلك الإمام الترمذي رحمه الله في كتاب الإيمان عن رسول اللَّه ﷺ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه .

الذين يتأولون صفات اللَّه ﷻ؛ كل هذه بدع اعتقاديه، والأمر فيها يتفاوت، فالبعض منها موجب للكفر كمن اعتقد أنَّ القرآن مخلوق وبعضها دون ذلك؛ وهي تعتبر من البدع المفسقة؛ وهي تتفاوت في شدتها، وبعدها عن الحق وكذلك بدعة التصوف؛ الذي بدأه بعض السابقين بالزهد في الدنيا، وبالغ في ذلك من بعدهم مبالغة كبيرة قد تصل إلى حد الكفر كاعتقاد وحدة الوجود أو الحلولية؛ هذه كلها بدع اعتقادية.

أما البدع العملية، فهي تنقسم أيضًا إلى قسمين:

١- بدعة عملية اخترعت منافية للشرع ك: تعبد الصوفية بالغناء، ثم أضافوا إلى ذلك الرقص والطقطقة، وما إلى ذلك.

٢- وبدعة إضافية: وهي أن يكون الشيء مشروعًا في أصله؛ فيضيف هذا المبتدع إلى تلك الشرعية صفة لم يأمر بها الشارع، فالتسبيح مثلًا بعد الصلاة، والتحميد، والتكبير، والتهليل هذا من السنن، وقد أضيف إلى ذلك كونها تقال جماعية بنغمة واحدة كما حصل من القوم الذين يعملون مثل هذا في مسجد الكوفة، وأنكر عليهم عبد اللَّه بن مسعود، وكذلك من يقول من الحزبيين نصوم اليوم صومًا جماعيًا، ونفطر عند فلان فطرًا جماعيًا، وهكذا يضيف بعض الناس إلى الشيء المشروع شيئًا غير مشروع؛ استحسانًا من قبله أو تقليدًا لغيره؛ كل هذه من البدع وقد قال النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١) وفي رواية: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

وصاحب البدعة مستدرك على الشارع كأنه يقول: أنه علم شيئًا لم يعلمه رسول اللَّه ﷺ، وقد قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ابتدع بدعةً فقد اتهم محمدًا بالخيانة» -والعياذ باللَّه- فيجب الحذر من البدع كلها؛ صغيرها وكبيرها، اعتقاديها وعمليها، وأنَّ العيش على السنة؛ هو أفضل ما يطلبه المرء في حياته ليأمن على نفسه العذاب بعد الموت.

ملحوظة: يجب أن نعلم أن البدعة هي ما أحدث في الدين باسم الدين، أما ما كان من أمر الدنيا والأمور الحادثة فيها فهذا لا يدخل في البدع ولا يكون منها، وباللَّه التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، من حديث عائشة وورد معلقاً في صحيح البخاري في كتاب البيوع باب النجش، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم.

□ **السؤال الثامن عشر: ما حقوق المسلمين عليك؟**

الجواب: قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فالواجب أن تتخذهم إخوانًا تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتسعى بحسب مقدورك في مصالحهم، وإصلاح ذات بينهم، وتأليف قلوبهم، واجتماعهم على الحق.

المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره. وتقوم بحق من له حق كالوالدين، والأقارب، والجيران، والأصحاب، والمعاملين.

وأقول: إن رابطة الأخوة الإيمانية رابطة قوية، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١] وقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقال في الآية قبلها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فهذه الآيات تبين أخوة المؤمنين بالإضافة إلى آية الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] وأخوة الإسلام هي رابطة تربط بين المسلمين من أي جنس كانوا وفي أي بلد كانوا، فمن كان منهم على الدين، والسنة، وجبت له على إخوانه واجبات الأخوة؛ يعودونه إذا مرض، وينصرونه إذا ظلم، ويتبعون جنازته إذا مات، ويعزونه إذا أصيب بمصيبة، ويهنئونه إذا حصلت له نعمة، ويحبون له ما يحبون لأنفسهم، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا؛ المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره؛ التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات؛ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم؛ كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه**»[1] فهذه حقوق أوجبها الله على عباده من بعضهم لبعض.

أما الحقوق الخاصة كالوالدين، والأقارب، والجيران، والمعاملين؛ فهؤلاء قد

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

....

وردت في حقوقهم نصوص، فالوالدان أي الأب والأم، والجد والجدة؛ أوجب اللَّه لهم على ابنهم أو ابنتهم حق البر، فقرن حقهما بحقه فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وحق الوالدين هو أعظم حق بعد حق اللَّه ﷻ في العبادة، والأقارب لهم على قريبهم حق؛ قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] وقد جعل اللَّه بين الأقارب التوارث، وقرر في ذلك ما ذكره في سورة النساء، وكل من الوالدين، والأقارب يجب له على قريبه النفقة إن كان بحاجة إلى ذلك، والجيران لهم حقوق على جيرانهم، وقد جاء في الحديث: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم جاره**»(١).

وحق الجار على الجار كفّ الأذى والنصرة إذا احتاج إليها، والإقراض إن كان الجار عنده سعة، وكذلك الأصحاب كلٌّ له حق على صاحبه بالوفاء، وأداء الأمانة، وعدم الخيانة، والعاملين لهم حق الوفاء إن كان قد تعامل معهم الشخص، والتزم لهم بأداء مال؛ فيجب عليه الوفاء بذلك، وقد قال النبي ﷺ: «**لي الواجد ظلم يُحلّ عرضه وعقوبته**»(٢).

فهذه الحقوق يجب على المسلمين أن يؤدوها من بعضهم لبعض، ولكن حالة بعض المسلمين تشكى على اللَّه، وإنَّا للَّه وأنا إليه راجعون. اللَّهم وفق المسلمين لما تحب وترضى، وجنبهم الفواحش والفتن إنك على كل شيء قدير وصلى اللَّهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وباللَّه التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذ جاره وفي باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه من حديث أبي هريرة ﷺ؛ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في (ج١١ / ٤٨٦) برقم (٥٠٨٩) والحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب الأحكام في (ج٢ / ٨٤٥) برقم (٧٠٦٥) وأبو داود في سننه في (ج٣/ ٣١٣) برقم (٣٦٢٨) والنسائي في سننه (المجتبى) في (ج٧ / ٣١٦) برقم (٤٠٦٨٩) وابن ماجه في (ج٢ / ٨١١) برقم (٢٤٢٧) والبيهقي في السنن الكبرى في (ج٤ / ٥٩) برقم (٦٢٨٨) وفي (ج٦ / ٥١) برقم (١١٠٦١) وأحمد في مسنده في (ج٤ / ٢٢٢) برقم (١٧٩٧٥ و١٩٤٧٤ و١٩٤٨١) والطبراني في المعجم الكبير في (ج٧/ ٣١٨) برقم (٧٢٤٩) وفي المعجم الأوسط في (ج٣/ ٤٦) برقم (٢٤٢٨) وابن أبي شيبة في مصنفه في (ج٤ / ٤٨٩) برقم (٢٢٤٠٢).

□ السؤال التاسع عشر: ما هو الواجب نحو أصحاب النبي ﷺ؟

الجواب: من تمام الإيمان برسول الله ﷺ، ومحبته محبة أصحابه بحسب مراتبهم من الفضل، والسبق، والاعتراف بفضائلهم؛ التي فاقوا فيها جميع الأمة، وأن ندين لله ﷻ بحبهم ونشر فضائلهم، ونمسك عما شجر بينهم، ونعتقد أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلى كل خير، وأبعدهم عن كل شر، وأنهم جميعهم عدول مرضيون.

أقول: إنَّ الواجب على كل مسلم أن يعرف حق الصحابة -رضوان الله عليهم- بما فضلهم الله به من صحبة النبي ﷺ، وبما أثنى الله به عليهم في كتابه في آيات كثيرة حيث يقول: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] ويقول ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر: ٩] ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ﴾ [الممتحنة: ١] ويقول ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى غير ذلك من الآيات التي أثنى الله فيها على أصحاب نبيه، وأثبت عدالتهم، وقرر خيريتهم على جميع الأمم؛ ما عدا الرسل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»(١)، أي: أنهم يتسرعون، وقد نهى النبي ﷺ عن سب أصحابه فقال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد**

---

(١) أخرجه أيضًا الإمام البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور، و في كتاب فضائل الصحابة برقم الحديث (٣٦٥١) وفي كتاب الرقاق برقم (٦٤٢٩) وفي كتاب الأيمان برقم (٦٦٥٨) وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

....

أحدهم ولا نصيفه»[1] وقد صدر منه هذا القول حين حصل الخلاف بين عبد الرحمن بن عوف وخالد ابن الوليد وكان النبي ﷺ قد أرسل خالدًا إلى بني جذيمة، فأوقع فيهم السيف، فقالوا: قد صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا قد أسلمنا، فنهاه عبد الرحمن عن قتلهم فأبى إلا الاستمرار في قتلهم، فقال خالد بن الوليد: ما تفخرون علينا إلا بأيام سبقتمونا بها إلى الإسلام، فلما رجعوا إلى النبي ﷺ اشتكى عبد الرحمن خالدًا بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال هذا القول الذي سبق ذكره.

فإذا كان قال هذا القول في حق صحابي متقدم مع صحابي متأخر؛ فكيف بمن لا يكون كذلك؛ بل يتكلم في الصحابة، وليس له عُشْر عُشْر المزايا التي جُعلت للصحابة؟!!

فالواجب على كل مسلم أن يعرف فضل أصحاب النبي ﷺ، ويعطيهم حقهم من التعظيم، والتبجيل، والتوقير، ويكف لسانه عن ذكر ما شجر بينهم: «فهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلى كل خير، وأبعدهم عن كل شر» كما قال المؤلف.

وأقول: لعنة اللَّه على الروافض؛ الذين يسبون أبا بكر، وعمر، وعثمان، وسائر الصحابة -لعنة اللَّه عليهم-، ونسأل اللَّه أن يخزيهم، وقد أخزاهم حين أبقاهم فى هذا المعتقد السيئ؛ الذين سينالون به غضب اللَّه، ومقته؛ إنهم أشد سبًّا لفضلاء الصحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان وعائشة، وحفصة؛ بل ديدنهم أنهم يسمون كلابهم، وحميرهم بأفضل الأمة بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر، وعمر، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، ويزعمون أنهم يحبون النبي ﷺ وأهل بيته، وكذبوا، فلو كانوا يحبون النبي ﷺ ما قالوا في أصحابه تلك الأقوال السيئة.

وإنَّ الواجب علينا أن نعرف فضل ذوي الفضل منهم، فنقدم أبا بكر وعمر، وعثمان على غيرهم، ورابعهم الذى هو رابع الخلفاء؛ وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم بقية العشرة الذين مات النبي ﷺ وهو عنهم راض، وأخبرهم أنهم من أهل الجنة، ثم من هاجر الهجرتين الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة، ثم من شهد بدرًا، ثم أصحاب

---

(١) الحديث متفق عليه؛ أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا» والإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

....

بيعة الرضوان، ثم من أسلم قبل الفتح وقاتل ثم من أسلم بعد الفتح وقاتل، ثم صغار الصحابة هكذا ترتيبهم في الفضل.

والصحابة كلهم عدول بتعديل اللَّه إياهم، وبإجماع الأمة على ذلك، فإذا جاء الحديث عن صحابي لم يُسأل عن عدالة ذلك الصحابي؛ لأن اللَّه قد عدلهم.

نسأل اللَّه أن يجعلنا ممن يعرف حق أصحاب نبيه ﷺ، فيثني عليهم باللسان وينشر ما لهم من الخصال الحميدة، وباللَّه التوفيق.

□ **السؤال العشرون: ما قولكم في الإمامة ؟**

الجواب: نعتقد أن نصب الإمام فرض كفاية، فإن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها، ودنياها ويدفع عنها عادية المعتدين، وإقامة الحدود على الجناة، ولا تتم إمامته إلا بطاعته بالمعروف في غير معصية اللّٰه، والجهاد ماضٍ مع البرّ والفاجر، ويعانون على الخير، وينصحون عن الشر.

أقول: إنَّ الإمامة من الضروريات التي لا يستغني عنها الناس، فإن لم يكن إمام حصلت الفوضى، وقال من شاء ما شاء، وفعل من شاء ما شاء، ولا يردع السفيه، ولا يأخذ على يد الظالم إلَّا السلطة الشرعية، ولقد قال الشاعر الجاهلي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وأن الواجب نصب إمام يقيم للناس دينهم، ودنياهم، فيردع السفيه عن العبث، ويمنع الظالم من التعدي، والاستمرار في الظلم، فيأمن الناس في ظل هذا الإمام على دمائهم، وأموالهم فيؤدون فرائض اللّٰه وهم آمنون، يقيمون الصلاة بالجُمع، والجماعات، والأعياد، وغير ذلك ويقيم لهم الحج، ويجاهد بهم في سبيل اللّٰه، ويقودهم في جهاد الكفار، والبغاة، والمعتدين، ومن هذا يقال أنَّ الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها، ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين ويقيم الحدود على الجناة، فيجلد الزاني البكر، ويغربه، ويرجم الزاني المحصن إذا ثبت عليه الزنا، ويقطع يد السارق، ويقتل القاتل، ويقيم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ علمًا بأنه لا يستطيع على ذلك إلا بالتعاون معه ممن تحت يده؛ فإن كان الذين تحت يده غير متعاونين لم يتم له شيء مما قصده من جهاد الكفار المعتدين، ومنع العبث، والفوضى، وقتال أهل البغي؛ لأنَّ المقصود من الإمامة هو القيادة في هذه الأمور، ويحسن أن يتوفر في الإمام العدالة، والشجاعة والحكمة وتقديم ما يحب اللّٰه ﷻ؛ سواء رضي الناس أم سخطوا، واللّٰه ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ومن هنا نأخذ أنَّ كل ما أمر اللّٰه به ورسوله ففيه الحياة، والخير، وللكلام في حقوق الإمام على الرعية والرعية على الإمام موضع غير هذا.

ونحن نعاني من أهل الحزبيات؛ الذين ينهجون منهج الخوارج في السر، نعاني منهم ما اللّٰه به عليم؛ حتى أنَّ بعضهم ينكر أن يكون هناك دولة مسلمة أو أنَّ في عنقه بيعة

....

لإمام مسلم، ومثل هذا ينبغي أن يؤخذ على يده، وعلى أيدي من هم على شاكلته؛ اللَّهم أصلح ولاة أمورنا ووفقهم لما تحب وترضى.

وقد قلت في كتابي صيحة الحق:

وواجب نصب إمام مسلم تـوفـرت فـيـه شروط فاعلم
ككونه حرًّا كبيرًا عاقلًا وذكرًا عدلًا شجاعًا كاملا
ذا خبرةٍ في الحرب والسَّلام وعالمًا بِشرْعة الإسلام
لكي يقيم الدين للمعبود ويقمع الفساد بالحدود
لكي يشيع الأمن في البلاد وينشر الإسلام وبالجهاد

□ **السؤال الحادي والعشرون: ما هو الصراط المستقيم، وما صفته ؟**

الجواب: الصراط المستقيم: هو العلم النافع والعمل الصالح.

والعلم النافع: هو ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة.

والعمل الصالح: هو التقرب إلى الله بالاعتقادات الصحيحة، وأداء الفرائض، والنوافل، واجتناب المنهيات؛ وهو القيام بحقوق الله، وحقوق عباده، ولا يتم ذلك إلا بالإخلاص التام لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ؛ والدين يدور على هذين الأصلين، فمن فاته الإخلاص، وقع في الشرك ومن فاتته المتابعة وقع في البدع.

وأقول: الصراط المستقيم هو الطريق الواضح؛ الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ كما وصفه به ربه، والله ﷻ قد حثّنا على اتباع الصراط المستقيم؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

السُّبُل: هي طرق شيطانية، كل طريق منها عليه شيطان يدعو إليه، وقد مثل النبي ﷺ حينما خط خطًّا مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا على جانبي الخط المستقيم، وقال: «**هذا صراط ربك مستقيما، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾(١) وفي رواية: «عن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أبشروا، وأبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ؟**» قالوا: نعم قال: «**فإن هذا القرآن سببٌ طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا**»(٢) فذلك الخط المستقيم الذي وضعه النبي ﷺ مثالًا مضروبًا للصراط المستقيم المعنوي؛

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في (ج٢ / ٢٦١) برقم الحديث (٢٩٣٨ و٣٢٤١) وابن حبان في صحيحه في (ج١ / ١٨١) برقم (٧) والبيهقي في السنن الكبرى في (ج٦ / ٣٤٣) برقم (١١١٧٥) والدارمي في (ج١ / ٧٨) برقم (٢٠٢) وأحمد في مسنده في (ج١ / ٤٣٥) برقم (٤١٤٢ و٤٤٣٧ و١٥٣١٢) وعبد بن حميد في مسنده في (ج١ / ٣٤٥) برقم الحديث (١١٤١٠).

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في (ج١ / ٣٢٩) برقم الحديث (١٢٢) وعبد بن حميد في مسنده في (ج١ / ١٧٥) برقم (٤٨٣) والطبراني في المعجم الكبير في (ج٢ / ١٢٦) برقم (١٥٣٩ و٢٦٨١) وفي (ج٢٢ / ١٨٨) برقم (٤٩١) وفي كتاب الآحاد والمثاني لأحمد بن عمرو أبو بكر الشيباني في (ج٤ / ٢٨٢) برقم (٢٣٠٢) وابن أبي شيبة في (ج٦ / ١٢٥) برقم (٣٠٠٠٦).

....

وهو الاستقامة على ما جاء في كتاب اللَّه، وفي سنة رسوله ﷺ؛ من عقائد، وأعمال وعبادات؛ تشتمل على الأعمال والأقوال، وبذل المال من أجل رضاء اللَّه ﷻ؛ كأداء الزكاة، والجهاد في سبيل اللَّه بالنفس والمال، والامتناع عن كل ما نهى اللَّه عنه من الأقوال والأعمال، والعقائد.

فمن استقام على هذا، وعمل به، فقد استقام على الصراط المستقيم، لكن العمل يحتاج إلى علم يبنى عليه، ومن عمل وأجهد نفسه بالعبادة بدون علم وقع في الضلال؛ كالخوارج، والصوفية، والشيعة، وما أشبه ذلك، وأن الواجب على كل عبد أن يحرص على تعلم العلم النافع؛ المأخوذ من كتاب اللَّه، وسنة رسوله على أيدي العلماء؛ من أهل الحديث، والأثر، واتباع المنهج السلفي؛ منهج أهل السنة والجماعة، فمن عبد اللَّه بغير علم وقع في الضلال إما بالزيادة أحيانا والغلو، وإما بالتقصير أحيانًا، ولا ينجو العبد من هذين الطرفين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء إلا بالعلم النافع، ولذلك فقد فسر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الصراط المستقيم بأنه العلم النافع، والعمل الصالح، وفسر العلم النافع بأنه ما جاء به الرسول ﷺ من كتاب وسنة، وفسر العمل الصالح بالاعتقادات الصحيحة، وأداء الفرائض والنوافل، واجتناب المنهيات، وهذا كلام جامع يكتب بماء الذهب، وأعاد ذلك كله إلى أمرين الإخلاص للَّه، والمتابعة لرسول اللَّه ﷺ.

ثم قال: «والدين يدور على هذين الأصلين، فمن فاته الإخلاص، وقع في الشرك، ومن فاتته المتابعة، وقع في البدع» وهذا التمثيل جيد في غاية الجودة، فالعلم النافع بمنزلة الطريق، والعمل الصالح بمنزلة السير في ذلك الطريق، فمن لم يعرف الطريق ضلّ وتاه، ووقع فيما يضره، ومن عرف الطريق، ولم يسرْ عليها؛ بل تأرجح يمنة ويسرة لم يكن مستقيمًا على ذلك الطريق، والصراط هو الطريق الواضح الذي لا لبس فيه، ولا اعوجاج؛ اللَّهم إنَّا نسألك أن توفقنا للعلم النافع، والعمل الصالح.

ملحوظة: الصراط في الدنيا شيء معنوي؛ وهو متابعة ما جاء به الرسول ﷺ واللَّه يقول: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ٣] ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] ويوم القيامة يكون الصراط حسيًّا فيوضع الصراط على متن جهنم؛ أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر، ولا يجوزه في ذلك اليوم

....

إلا من استقام في سيره على الكتاب والسنة، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة في مرور العباد على الصراط، فمنهم من يكون كلمح البصر، ومنهم من يكون كالبرق، ومنهم من يكون كالريح، ومنهم من يكون كأجاويد الخيل، ومنهم من يسعى، ومنهم من يهرول، ومنهم من يمشي، وأدناهم من يزحف على بطنه، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، فعلى قدر ما تكون استقامتك على الحق ومسارعتك في اتباعه، وعدم التأرجح في ذلك بقدر ما يكون سيرك على الصراط يوم القيامة، واللَّه لا يظلم أحدًا من عباده، وباللَّه التوفيق.

□ **السؤال الثاني والعشرون: ما هي الأوصاف التي يتميز بها المؤمن عن الكافر والجاحد؟**

الجواب: هذا سؤال عظيم بالفرق بين المؤمن وغيره؛ يتميز الحق والباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، فاعلم أنَّ المؤمن حقًّا؛ هو الذي آمن باللَّه، وبأسمائه وصفاته الواردة في الكتاب والسنة على وجه الفهم لها، والاعتراف بها، وتنزيهه عمَّا ينافي ذلك، فامتلأ قلبه إيمانًا وعلمًا، ويقينًا وطمأنينة، وتعلقًا باللَّه، فأناب إلى اللَّه وحده، وتعبَّد للَّه بالعبادات؛ التي شرعها على لسان نبيه ﷺ مخلصًا للَّه بها؛ راجيًا لثوابه؛ خائفًا من عقابه، شاكرًا للَّه بقلبه، ولسانه، وجوارحه على نِعم اللَّه، وإحسانه العظيم؛ الذي يتقلب به في جميع الساعات لاهجًا بذكره؛ لا يرى نعمة أعظم من هذه النعمة؛ ولا كرامة أعظم منها؛ يهزأ بلذات الدنيا المادية؛ إذا نسبت إلى لذة الإنابة إلى اللَّه، والإقبال عليه وحده، ومع هذا فقد أخذ نصيبًا وافرًا من لذات الحياة، وتمتع بها لا على الوجه الذي يتمتع به الجاحدون أو الغافلون؛ بل تمتع بها على وجه الاستعانة بها على القيام بحقوق اللَّه وحقوق عباده، وبذلك الاحتساب، والرجاء تمت لذاته، واستراح قلبه، و اطمأنَّ، ولم يحزن إذا جاءته الأمور على خلاف ما يحب، فهذا قد جمع اللَّه له بين سعادة الدنيا والآخرة.

وأقول: هذه الأوصاف التي أوردها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ للمؤمن حيث يتميز بها عن غيره من أهل الكفر، والجحود أو أهل الغفلة؛ الذين لا تهمهم إلا الدنيا، ولذّاتها، وما أحسن حال المؤمن الذي شارك الآخرين في التمتع باللذات المباحة على وجه يرضاه اللَّه من عباده؛ حيث يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وهو يكتسب المال كما يكتسبه الآخرون، ولكنَّه مقيدٌ بالإباحة الواضحة؛ مبتعدًا عن الشُّبه؛ ذاكرًا في نفسه قول النبي ﷺ: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في**

أما الجاحد الغافل فهو على خلاف ذلك، وقد جحد ربه العظيم؛ الذي قامت البراهين العقلية والنقلية، والعلوم الضرورية، والحسية على وجوده، وكماله، فلم يعبأ بذلك كله، فلما انقطع عن الله اعترافًا، وتعبدًا؛ تعلق بالطبيعة فعبدها، وصار قلبه شبيهًا بقلوب البهائم السائمة؛ ليس له همة إلا التمتع بالأمور المادية، وقلبه دائمًا غير مطمئن؛ بل خائف من فوات محبوباته وخائفٌ من حصول المكاره؛ التي تنتابه، وليس له من الإيمان ما يسهل عليه المصيبات، وما يخفف عنه النكبات، وقد حرم لذة الإيمان، وحلاوة التقرب إلى الله، وثمرات الإيمان العاجلة والآجلة؛ لايرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا، وإنما خوفه ورجاءه متعلق بمطالب النفوس الدنيوية الخسيسة المادية.

صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»(١)

وقوله ﷺ: «**إنَّ الحلال بيِّن، وإنَّ الحرام بيِّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه؛ ألا وإنَّ لكل ملك حمى؛ ألا وإن حمى الله محارمه؛ ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»(٢).

فهو لا يُقْدِم على الكسب إلا من الوجه الحلال البيّن، ويجتنب الحرام البيّن، ويجتنب المتشابهات ذلك لأنه يسيطر على نفسه الإيمان العميق؛ إنَّ الدنيا ما هي إلا طريق إلى الآخرة، وأنَّ من تزود بالحرام، فلعله ينقطع عن السير أو يتأرجح في سيره، ويضعف؛ ذلك لأنه قد تزود بالعلم النافع الذي؛ ينبني عليه الإيمان بالله أي الإيمان بوجوده، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بكمال أسمائه، وكمال صفاته، وأنه لا يشبهه فيها أحد، فله القدرة الكاملة؛ التي لايتعاصى عليها شيء، وله العلم الشامل

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة باب تفسير البر والإثم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) الحديث متفق عليه أخرجه الإمام مسلم وهذا اللفظه في كتاب المساقاة، ومسلم في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه وأخرجه أيضاً في كتاب البيوع باب الحلال بيِّن والحراسة بين أهلها من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

ومن أوصاف المؤمن: التواضع للحق، وللخلق، والنصيحة لعباد اللَّه على اختلاف مراتبهم قولًا وفعلًا، ونية، والجاحد: وصفه بالتكبر على الحق، وعلى الخلق، والإعجاب بالنفس لايدين بالنصيحة لأحد.

الذي لايفوته شيء، وله الحكمة التي تضع الأشياء في مواضعها، وله الحجة على عباده، وأنَّ كل اسم وصفة من أسمائه وصفاته فهي كاملة في بابها لايشبهه فيها أحد من خلقه.

ومن أجل ذلك يؤمن بأنه مستوٍ على عرشه؛ بائن من خلقه وعلمه بكل مكان وأنَّ كل حركة من الإنسان؛ سواء كانت بالقلب أو اللسان أو الجوارح فهو يعلمها؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فإذا آمن باللَّه، وكان مراقبًا للَّه في تصرفاته، فأخذ من لذات الدنيا الحلال مستعينًا به على طاعة اللَّه، فذلك هو المؤمن الذي انتفع بإيمانه في الدنيا والآخرة فجمعت له السعادتين، فهو يطمئن قلبه بذكر اللَّه، فإذا جاءته بعض المكدرات استعلى عليها واستهان بها، وعلم أنَّ أمد الدنيا قصير، والآخرة خير لمن اتقى.

أما الجاحد الغافل فهو على خلاف ذلك كلِّه؛ وقد جحد ربه العظيم؛ الذي قامت البراهين العقلية والنقلية، والعلوم الضرورية، والحسية على وجوده، وكماله، فلم يعبأ بذلك كله... الخ.

وأقول: إن وصف المؤلف للجاحد والغافل وصف ينطبق على حاله -أي: على حال الجاحد والغافل-، فمن جحد ربه، وكفر به؛ استولى عليه الشيطان؛ وزين له الدنيا بالأماني، وجعل قلبه غافلًا عن الإيمان الذي يحيا به؛ مقبلًا على الدنيا، وملاذها من أي وجه أتته، وبأي طريق وصلت إليه؛ لا يبالي بعد الوصول إليها؛ هل وصلت إليه من طريق حلال أم حرام؛ قد فقد خشية اللَّه، وفقد رجاءه، وفقد الإيمان به، وعكف قلبه على الهوى، والأطماع، والشهوات والشبهات الصارفة عن الإيمان، فحُرِم كل خير، ووقع في كل شر، فنسأل اللَّه أن يُحيي قلوبنا بالإيمان، وأن يصرف عنَّا مكائد الشيطان، وباللَّه التوفيق.

قوله: «ومن أوصاف المؤمن: التواضع للحق، وللخلق، والنصيحة لعباد اللَّه على اختلاف مراتبهم قولًا، وفعلًا، ونية، والجاحد: وصفه بالتكبر على الحق، وعلى

المؤمن سليم القلب من الغش، والغل، والحقد؛ يحب للمسلمين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويسعى بحسب وسعه في مصالحهم، ويتحمل أذى الخلق ولا يظلمهم بوجه من الوجوه.

الخلق، والإعجاب بالنفس لا يدين بالنصيحة لأحد».

أقول: تأمل في هذه الأوصاف تجدها متضادة، فالمؤمن صفته التواضع للحق، وللخلق والجاحد صفته التكبر على الحق، وعلى الخلق، فتجد البون شاسعًا، والفرق كبيرًا بين مؤمن متواضع، وجاحد متكبر، المؤمن تواضع للحق وللخلق؛ لأنه عرف ربه، وعرف نفسه، عرف ربه بالكمال، وعرف نفسه بالضعف والقصور، ولم يحمله إدعاء الكمال على التكبر؛ مؤمنًا بقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] والجاحد: وصْفُه التكبر على الحق، وعلى الخلق؛ لأنَّ إمامه إبليس؛ الذي اعترض على ربه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وامتنع من السجود افتخارًا بأصله.

المؤمن يدين بالنصيحة لعباد اللَّه على اختلاف مراتبهم قولًا، وفعلًا، ونيةً.

أما الجاحد: فيدفعه الإعجاب بالنفس إلى التكبر، والتغطرس، ولا يبذل النصيحة لأحد كائنًا من كان؛ بل يدعي الكمال لنفسه، ويحتقر غيره، ويزدريه.

قوله: «المؤمن سليم القلب من الغش، والغل، والحقد؛ يحب للمسلمين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويسعى بحسب وسعه في مصالحهم، ويتحمَّل أذى الخلق ولا يظلمهم بوجه من الوجوه».

وأقول: هذا وصف للمؤمن الكامل بسلامة القلب من الغش، والغل، والحقد، وهذا لا ينطبق إلا على المؤمنين الكُمّل، وحتى المؤمنين الكُمّل قد يوجد في قلوبهم شيء من الغل والضغينة، وقد أخبر اللَّه ﷻ عن المؤمنين؛ الذين يدخلون الجنة بأنه نزع من صدورهم الغل مع كمال إيمانهم، فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وعلى هذا فإن حال المؤمن الكامل الإيمان سلامة القلب من هذه الخصال، واتصافه بالسعي في نفع المؤمنين، وتحمل الأذى منهم، وأنَّه لا يظلمهم بوجه من الوجوه؛ نسأل اللَّه أن يجعلنا كذلك.

والجاحد قلبه يغلي بالغل، والحقد، ولا يريد لأحد خيرًا، ولا نفعًا إلا إذا كان له في ذلك غرض دنيوي، ولا يبالي بظلم الخلق عند قدرته؛ وهو أضعف شيء عن تحمل ما يصيبه منهم.

المؤمن صدوق اللسان؛ حسن المعاملة، وصْفُهُ: الحلم، والوقار، والسكينة، والرحمة، والصبر والوفاء، وسهولة الجانب، ولين العريكة.

والجاحد وصْفُهُ: الطيش والقسوة، والجزع، والهلع والكذب، وعدم الوفاء، وشراسة الأخلاق.

قوله: «والجاحد قلبه يغلي بالغل، والحقد، ولا يريد لأحد خيرًا، ولا نفعًا إلا إذا كان له في ذلك غرض دنيوي، ولا يبالي بظلم الخلق عند قدرته؛ وهو أضعف شيء عن تحمل ما يصيبه منهم» فقد وصف الشيخ الجاحد بعكس صفات المؤمن؛ فهو قلبه يغلي حقدًا على الغير؛ مليء بالحقد، والبغض، والكراهية، وأنَّه لا يريد إيصال خير إلى أحد، ولا إيجاد نفع له، ولا يبالي بظلم الخلق عند قدرته؛ لأنه لايؤمن بجزاء، ولا حساب، ولا يخاف وعيدًا، ولا يرهب من عقاب؛ لانعدام إيمانه بهذه الأمور.

وقوله: «المؤمن صدوق اللسان؛ حسن المعاملة، وصْفُهُ: الحلم، والوقار، والسكينة والرحمة، والصبر، والوفاء، وسهولة الجانب، ولين العريكة.

والجاحد وصْفُهُ: الطيش والقسوة، والجزع، والهلع، والكذب، وعدم الوفاء، وشراسة الأخلاق» إذن فهذه الصفات متقابلة تقابل الأضداد. فالحلم، والوقار، والسكينة؛ صفة المؤمن. والطيش، والقسوة والجزع؛ صفة الجاحد، والصبر، والوفاء؛ صفة المؤمن. والهلع، والكذب، وعدم الوفاء صفة الجاحد، وسهولة الجانب، ولين العريكة؛ صفة المؤمن. وشراسة الأخلاق، وضيق النفس صفة الجاحد؛ فهي متقابلة تقابل أضداد.

الصفات الجيدة، والكريمة صفات المؤمن.

وصفات اللؤم، والقسوة، والجزع صفات الجاحد وباللّٰه التوفيق.

المؤمن: لايذل إلَّا للَّه؛ قد صان قلبه، ووجه عن بذله، وتذللَّه لغير ربه. وصْفُه: العفة، والقوة، والشجاعة، والسَّخاء، والمروءة لايختار إلَّا كل طيب.

قوله: «المؤمن: لايذل إلَّا للَّه؛ قد صان قلبه، ووجه عن بذله، وتذللَّه لغير ربه. وصْفُه: العفة والقوة، والشجاعة، والسَّخاء، والمروءة لايختار إلَّا كل طيب».

وأقول وصف المؤلف المؤمن بأنَّه لايذل إلَّا للَّه، أي ذل العبادة، أمَّا الخوف الطبيعي كأن يخاف من عدوٍّ صائل أن يصيبه بأذى أو يخاف من سبع، أو كلبٍ عقور، هذا ليس من ذل العبادة، ولا من خوف العبادة؛ بل هو خوفٌ من شيءٍ حسي.

قوله: «قد صان قلبه، ووجهه عن بذله، وتذلُّله لغير ربه» أي صان قلبه أن يتذلل لغير اللَّه تذلل عبادة بحيث يدعي أو يعتقد أنَّ له سلطانًا غيبيًا، وأنَّه يقدر أن يضره بما لايقدر عليه إلَّا اللَّه فهذا لايحصل من المؤمن؛ بل المؤمن، لايكون مؤمنًا إلَّا باعتقاد تفرد اللَّه ﷻ بالضر والنفع دون سواه؛ ولهذا فإنَّه وصفَه بالعفة، والقوة، والشجاعة، والسخاء، والمروة.

وأنَّه لايختار إلَّا كل طيب؛ فهو عفيفٌ عن أخذ المال الحرام أو الوقوع في طائلة الزنا؛ يتصف بالقوة التي يمنع بها نفسه عمَّا يغضب اللَّه ﷻ، ويدفعها إلى ما يرضيه، وكذلك يتصف بالشجاعة على قول الحق؛ وإن أغضب الناس، والبعد عن الكذب، والرياء، ويتصف بالسخاء؛ وهو كونه يبذل ما يوصله إلى طاعة اللَّه ﷻ، ويبلغه إلى رضاه فتسخوا نفسه بالمال، والجاه، وما يتبع ذلك من أغراض الدنيا إذا رأى أنَّ تلك الأمور تحول بينه وبين مراد اللَّه ﷻ أو تعرقله وتؤرجح سيره، فكذلك لايختار إلَّا كلَّ طيب، ليتوصل به إلى مرضات ربه ﷻ مستشعرًا قول النبي ﷺ: «**أيها الناس إن اللَّه طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن اللَّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[(١)].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها.

أمَّا الجاحد: فعلى الضد من ذلك؛ قد تعلق قلبه بالمخلوقين خوفًا من ضررهم، ورجاءً لنفعهم وبذل لهم ماء وجهه، وليس له عفة، ولا قوة، ولا شجاعة إلَّا في أغراضه السفلية؛ عادم المروة والإنسانية؛ لا يبالي بما حصل له من طيِّبٍ أو خبيث.

المؤمن قد جمع بين السعي في فعل الأسباب النافعة، والتوكل على اللَّه، والثقة به وطلب العون منه في كل الأمور، واللَّه تعالى في عونه.

قوله: «أمَّا الجاحد: فعلى الضد من ذلك؛ قد تعلق قلبه بالمخلوقين خوفًا من ضررهم ورجاءً لنفعهم وبذل لهم ماء وجهه، وليس له عفة، ولا قوة، ولا شجاعة إلَّا في أغراضه السفلية عادم المروة الإنسانية؛ لا يبالي بما حصل له من طيِّبٍ أو خبيث».

وأقول: أمَّا الجاحد فإنَّ أوصافه على الضد من ذلك؛ فإنَّك تجد قلبه ملطخًا بالشبهات، والشهوات، ويتذلل لغير ربه ﷻ لذلك؛ فهو يخون، ويغدر، ويخور، ويضعف عن الاتصاف بالخصال الحميدة التي يتصف بها المؤمن من العفة، والقوة، والشجاعة، والسخاء، والمروءة، ونعوذ باللَّه من ضعف الإيمان وتعلق القلب بغير الرحمن؛ اللَّهمَّ إنَّا ضعفاء فلا نقدر على القيام بحقوقك إلَّا بعون منك؛ فأعنَّا يارب العالمين.

وأقول: إنَّ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وصف الجاحد بأنَّه: «قد تعلق قلبه بالمخلوقين خوفًا من ضررهم، ورجاء لنفعهم، وبذل لهم ماء وجهه، وليس له عفة، ولا قوة، ولا شجاعة إلَّا في أغراضه السفلية؛ عادم المروة، والإنسانية؛ لا يبالي بما حصل له من طيِّبٍ أو خبيث» نعوذ باللَّه من هذه الصفات، ونسأل اللَّه أن يمنحنا صفات أهل الإيمان والإيقان، وباللَّه التوفيق.

قوله: «المؤمن قد جمع بين السعي في فعل الأسباب النافعة، والتوكل على اللَّه، والثقة به وطلب العون منه في كل الأمور، واللَّه تعالى في عونه».

أقول: أمر اللَّه ﷻ المؤمنين بالسعي في فعل الأسباب النافعة فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦٠ - ٦١] فقد أمر ﷻ

وأمَّا الجاحد: فليس عنده من التوكل خبر، وليس له نظرٌ إلَّا إلى نفسه الضعيفة المهينة؛ قد ولَّاه اللَّه ما تولَّى لنفسه، وخذله عن إعانته على مطالبه، فإن قدِّر له ما يحب كان استدراجًا.

المؤمن إذا أتته النعم تلقاها بالشكر، وصرفها فيما ينفعه، ويعود عليه بالخير.

بإعداد القوة؛ التي ترهب العدو، وحثَّ على التوكل على اللَّه ﷻ، وأخبر بأنَّه سميعٌ عليم؛ أي: سميعٌ لما يكون منكم؛ عليمٌ به فالمؤمن مأمورٌ بالجمع بين السبب المادي، والتوكل على اللَّه ﷻ، والاعتماد عليه في نجاح ذلك السبب، ولهذا كان يوصي أمراء السرايا، والغزاة فيقول: «**اغزوا باسم اللَّه في سبيل اللَّه قاتلوا من كفر باللَّه؛ اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا**»(١) فأمرهم بالغزو، والقتال، ونهاهم عن الغلول، والغدر وقتل الضعفاء؛ الذين لايقاتلون؛ لئلا تصيبهم معرَّة هذه المعاصي، فينالهم من الفشل، وانتصار العدو عليهم ما ينالهم.

ثمَّ ذكر الجاحد، وأخبر بأنَّه لايمت إلى التوكل على اللَّه بصلة، وليس له اعتماد على اللَّه وإنَّما اعتماده على نفسه الضعيفة المهينة، فلذلك ولَّاه اللَّه ما تولَّي، فوكله إلى نفسه، وحرمه من إعانته سبحانه على مطالبه؛ فإن قدَّر اللَّه له شيئا مما يحب؛ فإنَّما هو استدراجٌ.

قوله: «المؤمن إذا أتته النعم تلقاها بالشكر، وصرفها فيما ينفعه، ويعود عليه بالخير».

أقول: هذه صفة المؤمن الذي يكون مؤمنًا بربه منقادًا لأوامره؛ مجتنبًا لنواهيه؛ خائفًا من عقابه؛ لائذًا به متوكلًا عليه؛ فهو إذا أتته النعم تلقاها بالشكر والطاعة، وصرفها فيما ينفعه في أمور دينه ودنياه؛ بعيدًا عن التباهي، والسرف، والبطر، والمرح.

أمَّا غير المؤمن فإنَّه بالعكس من ذلك: يتلقَّى النِّعم بأشرٍ، وبطر، واشتغالٍ بالنِّعم عن المنعم وعن شكره، فيصرفها في أغراض نفسه السفلية؛ وهي مع هذا سريع زوالها؛ قريبٌ انفصالها فاللَّه تعالى قد ذمَّ أهل الأشر، والبطر، والمرح، والفرح بالباطل، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

المؤمن إذا أصابته المصائب قابلها بالصبر والاحتساب، وارتقاب الأجر والثواب، والطمع في زوالها، فيكون ما عوض من الخير والثواب أعظم مما فاته من محبوب أو حصل له من مكروب.

والجاحد يتلقاها بهلعٍ، وجزع، فتزداد مصيبته، ويجتمع عليه ألم الظاهر وألم القلب؛ قد عدم الصبر وليس له رجاء في الأجر، فما أشدَّ حسرته، وما أعظم حزنه.

جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٥ - ٧٦].

فالذين يفرحون بمصائب المؤمنين أتباع الرسل، ويحبون أن يعلوا الباطل على الحق؛ فإذا ظفروا بشيءٍ من أحد المؤمنين فرحوا به ونشروه، وتباهوا، وتكبروا بذلك، وزعموا أنَّ ذلك بقوة ذواتهم؛ هذه حال أهل النفاق الذين نظراتهم مرتبطةٌ بالأمور المادية، فاللَّه قد يبتلي المؤمنين أو بعضهم بشيءٍ من الضعف في بعض الحالات أو بعض المواقف؛ ولكنَّ المؤمن لاتصاله بربه، وتجدد ارتباطه به، وتوكله عليه قد يكتسب بالصبر، والتقوى ما يكتسب من النصر على عدوه، فيفرح بنصر اللَّه لا لرفعة ذاته ولكن لرفعة دينه، وانتصاره على الباطل، وأهله.

قوله: «المؤمن إذا أصابته المصائب قابلها بالصبر والاحتساب، وارتقاب الأجر والثواب والطمع في زوالها؛ فيكون ما عوض من الخير والثواب أعظم بما فاته من محبوب أو حصل له من مكروب.

والجاحد يتلقاها بهلع، وجزع، فتزداد مصيبته، ويجتمع عليه ألم الظاهر، وألم القلب؛ قد عدم الصبر، ولَيس له رجاء في الأجر؛ فما أشدَّ حسرته، وما أعظم حزنه».

أقول: الخوف والجزع؛ شدة الحزن، فليس للجاحد ما يعزيه في المصائب، وما يقوم به على تحملها، فلذلك يزداد حزنه؛ فما أعظم ما للمؤمنين من الذخيرة والقوة باحتساب الأجر عند اللَّه، والصبر على المصائب طمعًا في رفعة الدرجات في الجنة، وعلوا المكانة عند اللَّه ﷻ؛ نسأل اللَّه ﷻ أن يجعلنا من أهل طاعته.

المؤمن يدين للَّه ﷻ بالإيمان بجميع الرسل، وتعظيمهم، وتقديم محبتهم على محبة الخلق كلهم، ويعترف أنَّ كلَّ خير يناله الخلق إلى يوم القيامة فعلى أيديهم، وبإرشادهم، وكلَّ شرٍّ، وضرر ينال الخلق فسببه مخالفتهم؛ فهم أعظم الخلق إحسانًا إلى الخلق، وخصوصًا إمامهم، وخاتمهم محمدٌ ﷺ؛ الذي جعله اللَّه رحمةً للعالمين، وبعثه لكل صلاحٍ، وإصلاح، وهدايةٍ.

قوله رحمه الله: «المؤمن يدين للَّه ﷻ بالإيمان بجميع الرسل، وتعظيمهم، وتقديم محبتهم على محبة الخلق كلهم، ويعترف أنَّ كلَّ خير يناله الخلق إلى يوم القيامة؛ فعلى أيديهم وبإرشادهم وكلَّ شرٍّ، وضرر ينال الخلق؛ فسببه مخالفتهم؛ فهم أعظم الخلق إحسانًا إلى الخلق وخصوصًا إمامهم وخاتمهم محمدٌ ﷺ؛ الذي جعله اللَّه رحمةً للعالمين، وبعثه لكل صلاحٍ وإصلاح، وهدايةٍ» وهذه الجملة لو عوضت بقوله: «وجعل بعثته سببًا لكل صلاحٍ، وإصلاح وهداية لكان أولى».

وأقول: الإيمانُ بالرسل هو أحد أركان الإيمان فلا يكون العبد مؤمنًا حتى يعترف بهذا الركن؛ فيؤمن بجميع الرسل، ويعلم أنَّهم خيرة اللَّه من خلقه؛ اختارهم لهداية البشرية في كل زمانٍ ومكانٍ، وإنَّ أعظمهم أولوا العزم الخمسة؛ وهم نوحٌ وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمد ﷺ مع سائر الرسل؛ الذين هم دونهم تجب محبتهم وتعظيمهم، وتقديمهم في المحبة على غيرهم من سائر الخلق؛ ذلك لأنَّ كل خيرٍ نال البشرية فإنَّما نالوه بسبب طاعتهم، واتباعهم، وأنَّ كلَّ شرٍّ وقع على البشرية؛ فإنَّما وقع عليهم بسبب معصيتهم، ومخالفتهم.

وقد قصَّ اللَّه ﷻ علينا من ذلك ما قصَّ من الوقائع التي وقعت بالمكذبين؛ الذين كذَّبوا الرسل في كل زمانٍ، فلا يخفى ما حصل لقوم نوحٍ من الغرق وقوم عادٍ من العذاب بالريح؛ التي أهلكتهم، وحوَّلت بلادهم إلى جبالٍ من الكثبان، وما حصل لقوم ثمود من الهلاك بالصيحة، وما حصل لقوم لوطٍ من اجتياح مكانهم، واقتلاع مدائنهم، ومزارعهم وأرضهم، ثمَّ قلبها من ارتفاعٍ شاهقٍ، ورميهم بالحجارة، وما حصل لفرعون وقومه؛ من الغرق في البحر؛ إلى غير ذلك من الأمور؛ التي حصلت للمكذبين؛ مع أنَّ اللَّه ﷻ نجَّا كل رسولٍ، ومن آمن به من قومه؛ نجاهم من الهلاك، وأورثهم أرض المهلكين، وديارهم.

وأمَّا الملحدون فبضد ذلك: يعظمون أعداء الرسل، ويحترمون أقوالهم، ويهزأون كأسلافهم بما جاءت به الرسل؛ وذلك أكبر دليل على سخافة عقولهم، وهبوط أخلاقهم إلى أسفل سافلين.

والمهم أنَّ كل خيرٍ حصل للناس؛ فهو بسبب متابعة الرسل، وتعظيمهم، والعمل بما أرشدوا إليه، وكل شرٍّ حصل في الخليقة؛ فسببه الإعراض عمَّا جاء به الرسل، وعدم القيام بذلك وإنَّ أعظم الخلق إحسانًا إلى الخلق إمام الرسل يوم القيامة، وخاتمهم، والشفيع في المقام المحمود والمستفتح لباب الجنة محمدٌ ﷺ، فقد بعثه اللَّه رحمةً للعالمين، وبعثه بكل صلاحٍ وإصلاحٍ، وهدايةٍ.

قوله: «وأمَّا الملحدون فبضد ذلك: يعظمون أعداء الرسل، ويحترمون أقوالهم، ويهزأون كأسلافهم بما جاءت به الرسل، وذلك أكبر دليل على سخافة عقولهم، وهبوط أخلاقهم إلى أسفل سافلين».

أقول: إنَّ من أعرض عن دعوة الرسل في السابق، واللاحق؛ لابدَّ له من العواقب المشين التي حصلت لأسلافه.

فالمكذبون للرسل في كل زمانٍ ومكانٍ ينالهم من الشر ما ينالهم.

وأعداء الرسل في زمننا لا ينتظرون إلَّا ما حصل لأعداء الرسل في الأزمنة السابقة؛ فقد قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٨٢].

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

فهرس الموضوعات

* * *

فتح الرب الودود

في

الفتاوى والرسائل والردود

أجاب عنها

فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

دار المنهاج